ISSN PORTAL : 3006-1822 - مجلة البحوث والدراسات العربية

المعايير السِّيرية عند الإمام الصالحي الشامي

"مُقاربة منهجية"

صنعة

الدكتور/ معتز أحمد رفاعي زارع

أستاذ علوم السيرة النبوية

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني

dmoataaze@gmail.com

dmoataaz@yahoo.com

المعايير السِّيرية عند الإمام الصالحي الشامي "مُقاربة منهجية"

إعداد

الدكتور/ معتز أحمد رفاعي زارع

أستاذ علوم السيرة النبوية

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني

dmoataaze@gmail.com

dmoataaz@yahoo.com

الملخص العربي:

تُعَدُّ دراسة البحث السِّيري وتحليل معاييره الدقيقة عِند الإمام الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ) من أهم الدراسات المنهجية الجوهرية في حقل الدراسات السِّيرية المعاصرة؛ ويرجع ذلك إلى مكانته العلمية البارزة؛ إذ يُعدُّ صاحب أضخم موسوعة صُنِّفت في السيرة النبوية وعلومها عبر التاريخ منذ بدايات التدوين وحتى يوم الناس هذا، وهي الموسوعة العظيمة الموسومة بـ: (سُبُل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد).

ويأتي استخلاص البحث السِّيري وإثبات معاييره الضابطة عن طريق الاستقراء والتحليل والاستنباط العميق لجوانب متعددة؛ تشمل: أسسه العلمية الراسخة، ومنهج مقدمته التفصيلي، وكذا منهجيتها الشاملة، ومناهجه العلمية المتنوعة، وصولًا إلى الصنعات العلمية الدقيقة الكامنة في تسطيره للبحث السيري، والتي تتجلى بوضوحٍ تام في مصنفه: (سُبُل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد).

المعيار الأول: الأسس العلمية للبحث السيري عند الإمام الصالحي

وقد بدأتُ هذا البحث بالحديث عن الأُسس البحثية الجوهرية الكامنة في كتاب سبل الهُدى والرَّشاد بأسلوب مُجملٍ ومُركّز، يهدف إلى تحديد المعالم الرئيسة لتلك الأُسس ومحتواها الغني، فضلًا عن إبراز تأثيرها البالغ في تحقيق الكمال المرجو للبحث السِّيري في صورته النهائية.

فالحق أقول: لقد تشبَّع قلم الإمام الصالحي بالأُسس العلمية الرصينة للبحث العلمي، وبمناهجه وطُرقه المتنوعة، وقد أعمل هذا كله ببراعةٍ فائقةٍ في مُصنَّفه النفيس، ومن الأهداف المحورية لهذا البحث الدقيق؛ الوقوف على هذه الملامح المنهجية الفريدة وإبراز تلك الأُسس التي تترك أثرًا بالغًا في إرساء دعائم البحث العلمي الرصين، والسير على نهج هؤلاء الأئمة الأعلام في التأليف والتحقيق، وهذا الأمر هو ما

دفعني إلى التوصية الصريحة للمتخصصين في طُرق التدريس ومناهج البحث العلمي بضرورة توجيه أقلامهم نحو ما سطّره الإمام الصالحي الشامي من طريقة ومنهج فريدين في عرض هذه الأُسس العلمية المُتقنة، وقد أدرجتُ هذه الأُسس تحت نقاط متنوعة، وهي على النحو التالي:

أ- **العنوان:** يُمثل البوابة الأولى لأي عمل علمي ويعكس بدقة محتواه.

ب- **المُقدمة:** تُعدُّ مرآة المنهجية، وتوضح الأهداف والغايات.

ج- **الموارد:** تُشكِّل الروافد المعرفية التي يَستقي منها الباحث مادتهُ.

د- **الأجزاء:** تُعبِّر عن البنية الكُلية للمُصنَّف وتقسيماته الهيكلية.

هـ- **الموضوعات:** تُمثِّل التفصيلات الجزئية التي يشتمل عليها العمل البحثي.

و- **التقسيم:** يعكِس التنظيم الداخلي للمادة العلمية.

ل- **تراجم الأبواب:** تُقدِّم خُلاصة لمضمون الأبواب والفصول.

المعياران الثاني والثالث: منهج المقدمة ومنهجيتها في البحث السيري عند الإمام الصالحي الشامي

في سياق الحديث عن (المنهج) و(المنهجية) في مقدمات البحث السيري، يُلاحظ أن كثيرًا من الباحثين والمتخصصين لا يُميزون بوضوح بين المفهومين، والحقيقة أن التفرقة بينهما جليةٌ وضرورية، لا سيما عند إمام قد فصَّل كل منهما على حدة؛ كالصالحي الذي أتمَّ مُقدمته إتمامًا جليًا يتماشى مع عظمة موسوعته الشاملة.

فأما **المنهج:** فيُشير إلى تلك المعالم والأُسس والطُرق النظرية التي صرَّح بها الإمام صراحةً في مقدمته الوافية وكذا التي لم يُصرح بها وقُمنا باستنباطها من صنيعه، والتي تُمثل الإطار العام والجوهري لعمله.

وأما **المنهجية:** فتُعنى بالتطبيقات العملية الدقيقة الخاصة بالإشارات إلى موارده ومُصطلحاته؛ وذلك للتيسير على القارئ لفهم مغازيه ومقاصده الجلية؛ مما يكشف عن آليات تعامله مع المادة العلمية.

المعيار الرابع: المناهج العلمية في كتابة البحث السيري عند الإمام الصالحي الشامي

من المعروف لدى المُتعمقين في مناهج الأئمة ومصنفاتهم أن المناهج العلمية الكامنة في الكتب تتفاوت بدرجةٍ كبيرة، وذلك تبعًا لاختلاف المُصنِّفين وثرائهم المعرفي، فمن المصنفين من يلتزم بمنهجٍ واحدٍ ثابتٍ يسري عليه عبر تأليفه، ومنهم من يوظِّف أكثر من منهج، وبعضهم ينتهج مناهج عديدة ومتنوعة،

وإنَّ تنوع هذه المناهج يأتي متوافقًا مع التشكُّل المعرفي الشامل لصاحب المُصنَّف؛ فكلما كان المُصنِّف يمتلك مخزونًا معرفيًا غنيًا ومتنوعًا، أضفى هذا كله على تسطير مادته العلمية عُمقًا وشمولًا.

هذا، وقد كان من بديهيات المنطق العلمي أن تكثُر تلك المناهج وتتنوع بشكلٍ لافتٍ في الموسوعات الكُبرى، غير أنه –وللأسف– قلَّما نجد هذا الثراء المنهجي في موسوعات المتأخرين، هذا الأمر ذاته هو ما يدعونا إلى النظر لموسوعة سبل الهدى والرشاد بعين الإجلال والإكبار والتقدير العميق لها ولصاحبها؛ وذلك لكثرة المناهج الكامنة فيها، وكذا لتنوعها البديع المتقن؛ هذا الواقع هو الذي دفعني للكتابة عنها بعمق، وقد قسَّمتُ هذه المناهج إلى مناهج عامة ومناهج خاصة.

أما **المناهج العامة**، فقد أدرجتُها تحت النقاط الآتية:

(١) **اتساع مفهوم السيرة:** يتجلى في شموليته لأبعاد مُتعددة من حياة النبيﷺ.

(٢) **الاستعانة بالعلوم المساعدة:** يعكس تكامُلِه مع فروع معرفية أخرى لدعم الطرح السيري.

(٣) **الربط بين علوم الشرع:** يُبرِز انسجام السيرة مع الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الشرعية.

(٤) **تسخير العلوم:** يوضِّح كيفية توظيف المعارف المختلفة لخدمة البحث السيري.

(٥) **شمولية علوم السيرة:** يؤكد اتساع نطاق السيرة لتشمل جوانب حياتية ودينية متنوعة.

وأما **المناهج الخاصة**، فقد أدرجتُها تحت النقاط التالية:

(١) **منهج الاستيعاب:** يهدف إلى جمع كل ما يتعلق بالموضوع دون إغفال.

(٢) **منهج الاستقصاء:** يتضمن البحث المتعمق والشامل في المصادر المختلفة.

(٣) **منهج التعددية:** يعكس الاعتماد على مصادر مختلفة ومقاربات متنوعة.

(٤) **منهج التأصيل:** يُركِّز على ربط الفروع بأصولها الشرعية والعلمية.

(٥) **منهج الموضوعية:** يتطلب التجرد والحياد في عرض الحقائق وتحليلها.

(٦) **منهج التتبع:** يستلزم تتبع الروايات والأحداث عبر المصادر المختلفة.

(٧) **منهج التعقيب والترجيح:** يتجلى في نقد الروايات وترجيح الأقوى منها.

المعيار الخامس: الصناعات العلمية في البحث السيري عند الإمام الصالحي

إنَّ الصنعات العلمية هي تلك المهارات البحثية المُتفردة والخبرات المُتعمِّقة التي تُكسِبُ المصنَّف والمصنِّف متانة ووجاهة علمية لا تظهر بالضرورة في كل مُصنَّف، ولا مع كل مُصنِّف، وليس من

الضروري وجودها في الموسوعات الكبرى دائمًا؛ فمن الموسوعات الكبرى الضخمة ما قد تفتقرُ لصنعة واحدة، وعلى النقيض نجد من المجلدة الواحدة ما تتزاحم فيها الصنعات العلمية المُتقنة والدقيقة، ويُعدُ كتاب سُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد أكبر موسوعة حوت بين دفْتيّها علوم السيرة النبوية بمختلف فروعها، وأحصت المرويات المُتعلقة بالجناب النبوي المحمدي الشريف إحصاءً شاملاً؛ الأمر الذي جعل مؤلفها يتعامل ببراعة مع معظم الفنون المعرفية، من حديث وفقه وعلوم قرآن وسيرة وعقيدة، وغيرها من العلوم الشرعية ذات الصلة؛ ولقد نتج عن هذا التعامل الشامل مجموعة مُتكاملة من الصنعات العلمية التي تجلت بوضوحٍ تام وانتشرت عبر تسطيره لهذا السفر العظيم؛ هذا الأمر ذاته هو ما دفعني إلى طَرق هذا الموضوع بجدية، والبحث عن مداخل تلك الصناعات العلمية الجليلة؛ لتكون بمثابة بوابة ومنارة هادية للباحثين في جميع التخصصات، وأرضًا خصبةً لتوجيه أقلامهم، كلٌ حسب تخصصه الدقيق، وقد أدرجتُ هذه الصناعات تحت المسميات التالية: (الصناعة **السيرية**، و الصناعة **الحديثية**، و الصناعة **اللغوية**، و الصناعة **الخططية**، و الصناعة **التراجمية**، و الصناعة **الفقهية**، و الصناعة **العقدية**، و الصناعة **الأدبية**، و الصناعة **المعجمية**).

خُلاصة المعايير الكُلية

لقد انتظم هذا البحث تحت خمسة معايير رئيسة ومحورية، والتي تُمثل ركائز أساسية لفهم منهج الإمام الصالحي الشامي في التأليف السيري، وهي:

(١) **المعيار الأول**: الأُسس العلمية في البحث السيري عند الإمام الصالحي.

(٢) **المعيار الثاني**: منهج المُقدمة في البحث السيري عند الإمام الصالحي.

(٣) **المعيار الثالث**: منهجية المُقدمة في البحث السيري عند الإمام الصالحي.

(٤) **المعيار الرابع**: المناهج العلمية في كتابة البحث السيري عند الإمام الصالحي.

(٥) **المعيار الخامس**: الصنعات العلمية في البحث السيري عند الإمام الصالحي.

الكلمات المفتاحية:

(**المعايير السيرية**) ، (**كتاب سبل الهدى والرشاد**)، (**مناهج المُصنّفين في السيرة النبوية**).

فهرس المحتويات

المُحتوى	الصفحة
المعايير السيَّرية عند الإمام الصالحي الشامي	
الغلاف باللغة العربية	١
ملخص البحث باللغة العربية	٢
ملخص البحث باللغة الأجنبية	
فهرس المحتويات	٩
المعيار الأول: أُسس البحث العلمي عند الإمام الصالحي	١٢
النقطة الأولى: العنوان	١٢
النقطة الثانية: المُقدمة	١٣
النقطة الثالثة: الموارد	١٤
النقطة الرابعة: الأجزاء	١٥
النقطة الخامسة: الموضوعات	١٧
النقطة السادسة: التقسيم	١٨
النقطة السابعة: تراجم الأبواب	١٩
المعيار الثاني: منهج المُقدمة في البحث السيري عند الإمام الصالحي	٢٠
النقطة الأولى: الاقتضاب	٢٠
النقطة الثانية: التحري	٢٢
النقطة الثالثة: وصف المحتوى	٢٢
النقطة الرابعة: التحرز من الأحاديث الموضوعة	٢٣
النقطة الخامسة: حسن الختام	٢٤
النقطة السادسة: بيان غريب الألفاظ وضبط المشكل	٢٤

النقطة السابعة الجمع بين الأحاديث	٢٥
النقطة الثامنة: الجمع بين الرواة	٢٥
النقطة التاسعة: العزو لأكثر من مُخرِّج	٢٥
النقطة العاشرة: الترضي على الصحابة والترحم على الصالحين	٢٦
المعيار الثالث: منهجية المُقدمة في البحث السيري عند الإمام الصالحي	٢٦
النقطة الأولى: منهجيته في التعامل مع كتب المتون الحديثية	٢٦
النقطة الثانية: منهجيته في التعامل مع كتب المغازي والسير	٢٨
النقطة الثالثة: منهجيته في التعامل مع الاختصارات اللغوية	٣٥
النقطة الرابعة: إفراده لذكر الإمام الأعظم	٣٥
النقطة الخامسة: تصريحه لعنوان كتابه كاملاً	٣٥
النقطة السادسة: تقريظه لكتابه	٣٦
نقد المُقدمة	٣٦
المعيار الرابع: المناهج العلمية عند الإمام الصالحي	٣٨
أولاً:- المناهج العامة	٣٨
النقطة الأولى: اتساع مفهوم السيرة	٣٨
النقطة الثانية: شمولية علوم السيرة	٣٨
النقطة الثالثة: الربط بين علوم الشرع	٣٩
النقطة الرابعة: تسّخير العلوم	٣٩
النقطة الخامسة: الاستعانة بالعلوم المساعدة	٤٣
ثانيًا:- المناهج الخاصة	٤٤
النقطة الأولى: منهج الاستيعاب	٤٤
النقطة الثانية: منهج الاستقصاء	٤٤

النقطة الثالثة: منهج التعددية	٤٤
النقطة الرابعة: منهج التأصيل	٤٥
النقطة الخامسة: منهج الموضوعية	٤٥
النقطة السادسة: منهج التتبع	٤٥
النقطة السابعة: منهج التعقيب والترجيح	٤٥
المعيار الخامس: الصنعات العلمية عند الإمام الصالحي	٤٦
مقدمة في الصنعات العلمية في كتاب سبل الهدى والرشاد	
النقطة الأولى: الصنعة السيرية في كتاب سبل الهدى والرشاد وموقعه بين كتب السير	٤٩
النقطة الثانية: الصنعة الحديثية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٥٤
النقطة الثالثة: الصنعة اللغوية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٥٥
النقطة الرابعة: الصنعة الفقهية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٥٦
النقطة الخامسة: الصنعة العقدية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٥٩
النقطة السادسة: الصنعة التراجمية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٦٠
النقطة السابعة: الصنعة الجغرافية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٦١
النقطة الثامنة: الصنعة الأدبية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٦٢
النقطة التاسعة: الصنعة المعجمية في كتاب سبل الهدى والرشاد	٦٣
الخاتمة (النتائج – التوصيات)	٥٩-٦٣
الملخص باللغة الأجنبية	٦٤
الغلاف باللغة الأجنبية	٦٨

المعيار الأول

أُسُس البحث العلمي عند الإمام الصالحي

[النقطة الأولى: العنوان]

إنَّ من أوائل المراحل الجوهرية والأساسية في الشروع بالبحث العلمي الرصين (حُسن اختيار عنوان البحث)؛ حيث يتسم العنوان الجيد بمجموعةٍ من السمات الدقيقة التي ينبغي أن تظهر فيه بوضوح، ومن هذه السمات: (أن يكون العنوان صريحًا لا يحتمل التأويل)، و (أن يكون العنوان جامعًا لموضوع البحث ومحتواه الشامل)، و (أن يتفق مضمون البحث مع مُصطلحات العنوان اتفاقًا لازمًا ومُلازمًا ابتداءً من أول مُصطلحٍ مذكور في العنوان وحتى نهايته؛ بما يضمن التناسق الدلالي).

وهنا، نلحظ بوضوح بالغ: أن إمامنا الجليل قد طبّق أولى سمات المنهجية البحثية المتطورة بل والمعاصرة، التي يعتمدها جمهرة الأكاديميين؛ حيث عنْون لكتابه بعنوانٍ جامعٍ، اشتمل فيه على كل السمات العلمية والبحثية والمنهجية التي لا بد وأن تتوافر في عنوان البحث العلمي الرصين؛ فقد ذكر عنوان كتابه وأسماه بـــ (سُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله من المبدأ وحتى المعاد) كما في: (سبل الهدى ١/٦)، وتُفسَّر كلمة "السُبُل" هنا بمعنى: الطُرق، بينما تُشير "الهُدى والرَّشاد" إلى: الطُرق القويمة والصحيحة في معرفة سيرة خير العباد؛ وهو رسول الله ﷺ.

هذا، ولم يكتفِ إمامنا بهذا العنوان الرئيس العام والمُجمل فحسب؛ بل قرنهُ بعنوانٍ آخر فرعي وتفصيلي لما أُجمل في العنوان الرئيس؛ حيث قال: "وذكر فضائله

وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد" كما في: (سبل الهدى ١/٦)، والمراد من هذا التفصيل هو الجمع الاصطلاحي الشامل لعلوم السيرة النبوية؛ فعندما قال: "ذكر فضائله"؛ كان مقصوده: (علم الخصائص)، وقد سبق أن ذكر (السيرة)، ومعلومٌ أنها معنيةٌ بالتاريخ النبوي، وهو أحد علوم السيرة النبوية أيضًا، ثم قال: "وأعلام نبوته"، وقصدهُ به: (علم الدلائل والأعلام)، ثم قال: "وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد"، لعل قصده يرنو إلى (علم الشمائل)؛ فمعلومٌ أن الأحوال والأفعال من شمائله، وكلمة في المبدأ أي: في الدنيا، والمعاد أي: الآخرة.

من هنا، يمكننا القول: أن الإمام الصالحي الشامي قد أحسن الاِختيار لعنوان كتابه بشكل دقيق، لا سيما وهو من المتأخرين؛ حيث اتسمت تراجم كتبهم بالسجع المُغرق أحيانًا، ولم يكن يُفهم مُرادهم منها إلا بعد الاطلاع المُعمّق على مقدمات كتبهم والغوص فيما سطَّروه من تفاصيل، أما الصالحي فقد جمع بين المحاسن جميعها؛ حيث تجلى في عنوانه السجع اللغوي الجميل إلى جانب الإبانة والتوضيح، ثم التفصيل الدقيق المنهجي.

[النقطة الثانية: المقدمة]

تُعدُّ مقدمة الإمام الصالحي في كتابه: (سُبُل الهُدى والرَّشاد) مقدمة منهجية في المقام الأول؛ كما في: (سبل الهدى ١/ ١ – ٦)، وقد بيّنتُ هذا مُفصّلاً في إحدى رسائلي العلمية الموسومة بـــ (منهج الإمام الصالحي الشامي في تناول السيرة النبوية في الجزأين الرابع والخامس من كتابه سبل الهدى والرشاد)، والتي ستصدر قريباً بطبعةٍ منقحةٍ ومزيدةٍ تحت عنوان: (الإمام الصالحي الشامي جامع جوامع السيرة النبوية

منهجه وموارده في تدوين المغازي النبوية)، كما سأوضح ذلك أيضًا في هذا البحث الحالي، ضمن المعيارين الثاني والثالث، وهما بعنوان: (المنهج والمنهجية في مُقدمات البحث السيري عند الصالحي)؛ حيث ذكر الصالحيُ وأوضح وفصَّل كل القواعد والأركان والسمات الأساسية للمقدمة العلمية المنهجية، والتي إذا أردنا أن نُقدِّرُها حق قدرها فإن قدرها لا يوزن إلا بالذهب؛ حيث صرَّح فيها بوضوح بعنوان كتابه كما في: (سبل الهدى ١/٦)، وذكر فيها أهمية موضوعه الجليلة كما في: (سبل الهدى ١/١)، وعرض فيها بعض المصادر الرئيسة كما في: (سبل الهدى ١/٣ – ٥) التي اعتمد عليها في كتابه، وقرَّظ لها بأسلوب رفيع.

هذا، وقد ذيَّل الصالحيُ مقدمته بتقسيمٍ دقيق ومتوسع لدراسته، اعتمد فيه العناوين الرئيسة والفرعية كما في: (سبل الهدى ١/٧ – ٨٥)، هذا التنظيم الدقيق يوحي مما يضاهي في منهجيته الرسائل العلمية المعاصرة من ماجستير ودكتوراه، وهذا ما دعاني إلى التوصية في أحد أبحاثي بضرورة إخضاع هذا الكتاب لدراسة منهجية بحثية متعمقة من قِبَل المتخصصين في مجال مناهج البحث العلمي وطرقه.

[النقطة الثالثة: الموارد]

تميز بعض الأئمة المتقدمين –وهم قلة؛ حيث كانت مواردهم سندية وكتبية محضة– والعديد من المتأخرين –وهم كثرة؛ إذ اعتمدوا على الموارد الكتبية فقط– باستفتاح مقدمات مصنفاتهم بذكر بعض مواردهم أو جُلها، وبطبيعة الحال كان سوادهم يكتفون بذكر بعض الموارد دون تفصيل؛ إلا أنني لم ألحظ من يتناول تلك الموارد بشيء من التفصيل مع استخدام مصطلحات بحثية متخصصة، باستثناء نطاق

ضيق جدًا في السابق واللاحق، ولعل هذه السمة من أهم سمات الصالحي في مقدمته؛ فقد ذكر مجموعة لا بأس بها من موارده كما في: (سبل الهدى ١/٣ – ٥)، ثم صاغ المصطلحات المشار إليها في كتابه كما في: (سبل الهدى ٢ – ٥)؛ ليرشد القارئ إلى إشاراته ومُراده منها، وليزوده بخريطة علمية متوازنة للموسوعة، تمكنه من فهم مفاتيحها وطُرق فك ألغازها.

[النقطة الرابعة: الأجزاء]

إنَّ من دأب الموسوعات العلمية الضخمة –عبر تاريخ التصنيف والتدوين على مر العصور– أن تكون مُقسّمة على شكل أجزاء، وهذه الأجزاء إما أن تكون مُكمِّلة بعضها لبعض، بحيث لا يمكن فهم جزء بمعزل عن الآخر واستيعاب المادة العلمية؛ وإما أن تكون مُنفصلة متصلة؛ بمعنى أن يجمعها موضوعٌ عام وشامل، وهذا يندرج في حيز الاتصال العام بين أجزاء الموسوعة، وفي المقابل تكون الأجزاء المُفردة مُخصّصة لإحدى فروع الموضوع العام، وهذا يقع في حيز الانفصال الدقيق في التفريعات.

وهنا: تتجلى براعة الإمام الصالحي في جمعه بين النمطين السابقين معًا في بوتقة واحدة متفردة؛ حيثُ أفرد موسوعته العلمية الفخمة والضخمة لجمع كل ما ورد عن النبي ﷺ، وهذا هو الموضوع الرئيس والأكبر والعام الذي تدور حوله الموسوعة بشتى تفريعاتها، ثم قسَّم هذه الموسوعة إلى أجزاءٍ مُتصلةٍ ومُنفصلة في آن واحد؛ فهي مُتصلة في الموضوع العام وهو الجناب النبوي المحمدي الشريف، ومُنفصلة في تقسيمه التطبيقي لعلوم السيرة النبوية؛ حيث خصّص كل علم على حدة في غالب الأحيان؛ فعلى سبيل المثال أفرد جزأين ضخمين وفخمين من موسوعته لعلم المغازي وهما: (الرابع والخامس)

من الموسوعة، ويتبعهُ جزءٌ فخمٌ مُخصص للبعوث والسرايا وهو: (الجزء السادس)، ثم أفرد أربعة أجزاء كاملة في علم الشمائل وهي: (الجزء الثاني والسابع والثامن والثاني عشر)، وكذلك أفرد للدلائل ثلاثة أجزاء وهي: (الجزء الأول الذي تكلم فيه على الإرهاصات، وكذا الجزء الثالث والعاشر)، وفي الخصائص أفرد الجزء: (الحادي عشر)، وفي الحقوق أفرد الجزء: (الثالث عشر)، وخصّص أبوابًا مُتفرقة من أبواب السيرة في الجزء (التاسع).

إلا أنني بعد دراسة هذا الكتاب دراسة مُفصّلة ومتأنية، أستطيع أن أقول: إن الإمام الصالحي قد سار على منوال المتقدمين والمتأخرين في إطار الخلط بين بعض علوم السيرة النبوية؛ فقد خلط إمامنا بين علمي (الخصائص والشمائل) كما في: (سبل الهدى ٢٠٢/١١)، وكذا بين (الخصائص والدلائل) كما في: (سبل الهدى ١٦٠/١)، وأيضًا بين (التاريخ النبوي وغيره من العلوم) كما في: (سبل الهدى ٧٦/٩) وهكذا- لكن الحق أقول بشكل يسير عن أشياخه وأقرانه من المتأخرين-، وهو صنيعٌ يُشبه ما قام به المتأخرون الذين لم يفطنوا لما طبَّقهُ بعض كبار المتقدمين في مصنفاتهم من تمييز دقيق.

ولعلي أُحدِّثُ نفسي بأن الله قد خصَّني بهذه الخصيصة العظيمة؛ حتى يجعل لي سمة أختص بها بين فحول الأئمة من (المتقدمين والمتأخرين) في هذا التخصص الشريف؛ حيثُ قمتُ بتقعيدٍ رصينٍ لعلوم السيرة النبوية، تقعيدًا مُجردًا قائمًا على قواعدٍ علميةٍ مُستنبطة من استقراءٍ عميق في مُصنفات أصحاب المشارب الأولى، وفحصٍ شاملٍ لمناهجهم الدقيقة، ثم قمتُ بتطبيقها وتحقيقها على أرض الواقع البحثي، وهذا ما يُعرف بين أهل العلم من الأشياخ والأساتذة والأقران أصحاب الدرب في

العلم بـــ "مدرستي في السيرة النبوية"، حيث وضعتُ جُل خبراتي العلمية المتراكمة في هذا التخصص من خلال بحثي الموسوم بـــ (علوم السيرة النبوية: تقعيدٌ وتأصيلٌ وتحقيقٌ وتطبيقٌ).

[النقطة الخامسة: الموضوعات]

اتسمت الموضوعات المُندرجة في كتاب الصالحي بسمة التخصُّصية العالية والموضوعية المتناهية؛ حيث أفرد الإمام الصالحي موضوعات الكتاب بدقة متناهية، وذلك حسب العلم الذي ينتمي إليه الموضوع.

فأدرج تحت علم التاريخ النبوي (السيرة) الروايات السيرية والأحداث التاريخية منتظمة تحت موضوعات تحمل السمة السيرية بوضوح؛ كصنيعه –مثلاً– في (جماع أبواب مولده الشريف)، وفي (سبب تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بني زهرة)، وفي (جماع أبواب رضاعه)...الخ؛ كما وقع ذلك في الجزء التاسع وغيره من الأجزاء.

كما أدْرج الروايات المغازية بأكملها تحت جماع أبواب مغازيه، بل أفرد لها جزأين كاملين فيما انتظم تحت: (جماع أبواب المغازي التي غزا فيها بنفسه الكريمة)، وقد أورد ذلك بشكل مُفصل في الجزأين الرابع والخامس.

وكذا أدْرج الصالحيُ الروايات الشمائلية تحت: (جماع أبواب صفاته المعنوية) كما في: (سبل الهدى ٥٤/٢)، و (جماع أبواب صفة جسده) كما في: (سبل الهدى ١١٣/٧)، و(جماع ذكر أزواجه) كما في: (سبل الهدى ٩٠/٨)، و(جماع أبواب

سيرته في فقه صلاته) كما في: (سبل الهدى ١٢/١٩٨) ...الخ؛ كما وقع ذلك بوضوح في الأجزاء (الثاني) و(السابع) و(الثامن) و(الثاني عشر).

وأيضًا أدْرج الروايات الدلائلية تحت: (جماع أبواب بعض الفضائل والآيات الواقعة قبل مولده) كما في: (سبل الهدى ١/٢١١)، و(جماع أبواب معراجه) كما في: (سبل الهدى ٣/٣٩)، و(جماع أبواب سيرته في المياه وعذوبة ما كان منها مالحًا وصدَّرهُ بباب نبع الماء الطهور من بين أصابعه) كما في: (سبل الهدى ١٠/٣٢٦) ...الخ؛ كما وقع ذلك في الأجزاء (الأول) و(الثالث) و(العاشر).

وأدْرج الصالحيُ الروايات الخصائصية تحت: (جماع أبواب خصائصه) وصدَّرهُ بباب فيما اختص به عن الأنبياء كما في: (سبل الهدى ١/١١)، كما هو مُبين في الجزء (الحادي عشر) من الموسوعة.

وأخيرًا، أدْرج الروايات الحقوقية تحت: (جماع حُكم من سبهُ أو انتقصهُ وكذا سائر الأنبياء) كما في: (سبل الهدى ١٢/١٣) وصدَّرهُ بباب (ذكر فوائد كالمقدمة للأبواب الآتية) كما في: (سبل الهدى ١/١٣)، كما هو موضح في الجزء (الثالث عشر).

[النقطة السادسة: التقسيم]

لقد قسّم الإمام الصالحيُ كتابهُ الموسوعي الضخم إلى عدة أجزاءٍ -كما بينا سلفًا-، وقسَّم كل جزءٍ إلى موضوعات رئيسة وأُخرى فرعية دقيقة، وقد انتظم هذا كله في شكل مجلداتٍ كاملةٍ ومُتكاملةٍ في غالبها، بينما اتصل واختلط قليل منها بغيرها؛

حيثُ جزّأها إلى جُزء السيرة العام كما في المجلد ..، وأجزاء الشمائل كما في المجلدات: (الثاني والسابع والثامن والثاني عشر)، وأجزاء المُعجزات كما في المجلدات (الأول، والثالث والعاشر)، وجُزئي المغازي والسرايا والبعوث كما في المجلدات: (الرابع والخامس والسادس)، وجزء الحقوق كما في المجلد: (الثالث عشر)، وجزء الخصائص كما في المجلد: (الحادي عشر)، وجزء السيرة المنفصل كما في المجلدين: (الأول والتاسع)، بخلاف ما أورده من سيرةٍ متضمنةٍ خلال مجموع أجزائه الأخرى؛ مما يعكس تنظيمًا منهجيًا فريدًا.

[النقطة السابعة: تراجم الأبواب]

أما عن تراجم الأبواب ومسالكها، فقد فصَّلتُها تفصيلاً دقيقًا في بحثي الموسوم بـــ (منهجية الكتابة المغازية عند الإمام الصالحي الشامي)؛ لما فيها من فقهٍ عميقٍ ومنهجيةٍ بالغةٍ في الرقي البحثي والعلمي؛ حيث جمع الصالحيُ ببراعة فائقة بين صور التراجم التي عُهِدت عند أصحاب الصنعة من العلماء المحققين، وقام بتطبيقها في كتابه على أكمل وجه؛ فترى في مصنفه التراجم الموضوعية العامة وهي: التراجم التي يدُل عنوانها على موضوع بأكمله، وهذه التراجم مشى الصالحي على دربها في الكتاب كله؛ ومثاله كما في (سبل الهدى: ٤/ ٩-١٥)، والتراجم الموضوعية الخاصة وهي التراجم التي يدل عنوانها على موضوع خاص حدث في أثناء الحادثة أو الغزوة ...الخ، وقد عبّر عنها الصالحي بقوله "ذكر"؛ ومثاله كما في (سبل الهدى: ٥/ ٦٢٧)، والتراجم الظاهرة؛ وهي التي يدل عنوان الباب فيها على مضمونه من المرويات دلالة واضحة، ولا يحتاج القارئ فيها إلى إعمال فكره لمعرفة وجه الاستدلال، وقد تكون

الترجمة بلفظ المترجم له أو بعضه أو بمعناه؛ ومثاله كما في (سبل الهدى: ٤/ ٨)، والتراجم الخفية؛ ومثاله كما في (سبل الهدى: ٤/ ١٨٤)، وأخيرًا التراجم الاستنباطية: وهي أن يأتي الصالحي في لفظ الترجمة بأكثر من احتمال للمعنى، فيعين أحد الاحتمالين بما يذكر تحتها من الحديث أو المروية المغازية، أو أن يكون الاحتمال في الرواية والتعيين في الترجمة، و لم تجد في جُل تراجمه ما يُعرف بـــ (التراجم المُرسلة) التي ليس لها عنوانٌ محددٌ، مما يدُل على مدى تمكُّن الصالحي من المنهجية البحثية تمكُّنًا يليقُ بفحولته العلمية وشموخه في شتى أفرع العلم الشرعي الشريف.

المعيار الثاني

منهج المُقدمة في البحث السيري عند الإمام الصالحي

لقد صرَّح سيدنا ومولانا وشيخنا، شيخ الإسلام وخاتمة المُحدِّثين والأعلام؛ أبي عبد الله مُحمد بن يوسف الصالحي الشامي بملامح منهجه الجلي، وجوهر منهجية العمل الدقيقة في كتابه، وذلك في معرض كلامه أثناء مُقدمة كتابه العظيم: (سُبل الهُدى والرَّشاد في سيرة خير العباد)، وقد قمتُ بتبويب هذا التحليل الدقيق حسب قوله في نقاط مُحدّدة، ثم أسدلتُ عليها التعليق والتحليل المُعمّق، مُطعمًا ذلك بالنقد البناء، وها هي في حُلَّتها الكاملة، أسوقها على النحو التالي:

[النقطة الأولى: الاقتضاب]

قال الإمام الصالحي نصًا: "هذا كتاب اِقتضبتهُ من أكثر من ثلاثمائة كتاب". (سبل الهُدى: ٣/٤)

تعليقي: إنَّ قولهُ "اقتضبته" يؤكد بوضوح على صنيع المتأخرين من نقلٍ واختصارٍ لما كتبهُ المتقدمون، وهذا الأمر لا يُدرك كنههُ إلا من عاش وتعمق بين كُتبهم وتراثهم العلمي الغزير؛ فالتفرقة الجلية والضرورية بين المُتقدمين والمُتأخرين في جُل العلوم الشرعية تُعدُّ أمرًا لازمًا، وحدًا جازمًا، ونهجًا عازمًا لا يقبل اللبس أو المساواة؛ فالنداءات التي تُرفع في التسوية بينهما صادرة غالبًا من محدودي الثقافة والإدراك في مناهج الأئمة الأعلام؛ فعندنا وحدتان فارقتان جازمتان بين هؤلاء وهؤلاء؛ ألا وهما وحدتا "الزمن والمنهج"؛ أما (وحدة الزمن)؛ فالمتقدمون هم أصحاب المشارب الأولى، وأصحاب السند قريب العهد بالنبي ﷺ وأصحابه وأتباعهم وتابعيهم، مما يُكسب رواياتهم قربًا ودقة وموثوقية.

وأما (وحدة المنهج)؛ فالفرق بينهما كالذي بين السماء والأرض في المورد، والمشرب، والتأصيل، والتقعيد، وفي الرصانة والمتانة العلمية، وغير ذلك من الفروقات الجوهرية التي تُميز كل حقبة ومنهج.

وقوله: "من أكثر من ثلاثمائة كتاب" قُلتُ: هذا تصريحٌ بعدد المصادر التي اعتمد عليها، وإني أرى أن هذا قليلٌ جدًا لما استبان لي خلال الدراسة بل فاق هذا العدد بكثير، ولعل الإمام ذكر هذا العدد على سبيل ما حضر في ذهنه وقتها ويدُلُ على ذلك قوله: "أكثر"، وقد خصّصتُ فصلاً كاملاً عن موارد الإمام في باب المغازي في كتابي المعنيُّ بمنهج الإمام في الكتاب، ليس هذا فحسب؛ بل قُمتُ بدراسة موارده في بحثٍ مُنفردٍ والموسوم بـــ (علم المغازي وموارده من خلال كتاب سُبُل الهُدى

والرَّشاد) فتأكد لي أن هذا العدد الذي ذكرهُ في مقدمته لا يعدو أن يكون بوابة لموارده فضلاً عنها كلها؛ فلقد فاق هذا العدد بأعدادٍ غفيرة.

[النقطة الثانية: التحري]

قال الإمام الصالحي: "وتحريت فيه الصواب". (سبل الهدى: ٣/٤)

تعليقي: وهذا ملمح آخر من ملامح منهجه وهو: التنقية والتنقيح بين الأخبار والروايات؛ نظراً لما ملكه من أدوات المحدثين ومهارات المحققين من أهل العلم، وإن كان قد خفق في مواضع شتى أثناء عرض أبواب كتابه، فوقع في كتابه من الأحاديث والروايات الموضوعة، والمنكرة، والمرسلة، والضعيفة، والضعيفة ضعفًا شديدًا، إلى آخر ذلك مما لا يخفى على المتعمق في هذا الكتاب أو الذي لديه حس حديثي.

[النقطة الثالثة: وصف المحتوى]

قال الإمام الصالحي: "ذكرت فيه قطرات من بحار فضائل سيدنا رسول الله ﷺ من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم، وأعلام نبوته، وشمائله، وسيرته، وأفعاله وأحواله وتقلباته، إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته، وما أعده له فيها من الإنعام والتعظيم، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم". (سبل الهدى: ٣/٤)

تعليقي: هذا وصف عام لمادة كتابه، أما قوله: "من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم"! فهذا من عجيب ما يقع فيه محدث له سهم في علم الحديث ومشكلاته؛ فقضية

خلق محمد ﷺ قبل آدم مبنية على أحاديث باطلة وموضوعة وضعيفة بروايات جُلها متآكلة.

وأما قوله: "وأعلام نبوته، وشمائله، وسيرته، وأفعاله وأحواله وتقلباته، إلى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته، وما أعده له فيها من الإنعام والتعظيم، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم"، **أقول**: هذا تعريج منه لبعض علوم السيرة المتمثلة في: (علم الأعلام، وعلم الشمائل، وعلم التاريخ النبوي (السيرة)، وعلم الخصائص) وجمعه الحافل لتاريخ النبوة بكل ما فيه.

[النقطة الرابعة: التحرز من الأحاديث المصنوعة]

قال الإمام الصالحي: "ولم أذكر فيه شيئًا من الأحاديث الموضوعات". (سبل الهدى ٣/٤)

تعليقي: دلالة على إعماله لقواعد المحدثين في قبول الرواية التاريخية والحديثية (السيرية منها والمغازية، والشمائلية، والخصائصية، والدلائلية، والحقوقية)، وسعة علمه بعلوم الحديث، ومعرفة الصحيح منها والسقيم، وإن كان قد وقع في كثير من الأحاديث المصنوعة خلال كتابه، فهذا لا يُخرجه من دائرة إعمال المنهج الحديثي.

[النقطة الخامسة: حُسن الختام والتتمة للمباحث العلمية]

قال الإمام الصالحي: "وختمت كل باب بإيضاح ما أُشكل فيه، وبعض ما اشتمل عليه من النفائس المستجدات". (سبل الهدى: ٣/٤)

تعليقي: وفي هذا تنويه عن التنبيهات التي ذيّل بها كل غزوة من الغزوات والأبواب السابقة، وما يذكره فيها من مسائل مهمات، واختلافات وغريب إلى آخر ذلك، وقد فصّلتُ هذا في رسالتي، وأظهرت كل التنبيهات التي ذكرها في علم المغازي بوجه خاص، وقمت بالتعليق عليها، ولعل هذه التنبيهات هي من أهم ما امتاز به الصالحي وكتابه عن سائر الكتب الأخرى.

[النقطة السادسة: بيان غريب الألفاظ وضبط المُشكل]

قال الإمام الصالحي: "مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات". (سبل الهدى: ٣/٤)

تعليقي: هذا تعريض لتراجمه التي ذكرها وضبطها ذيل كل باب من الأبواب من (ألفاظ، وأسماء، وأماكن) كما في: (سبل الهدى ١/١) وقد سطّرتُها في موضعها في الفصل السابع من بحث المنهج، وتبيّن لي سعة علمه بعلوم العربية الذي فاق في نظري أي تخصص آخر له.

[النقطة السابعة: الجمع بين الأحاديث]

قال الإمام الصالحي: "والجمع بين الأحاديث التي قد يظن أنها من المتناقضات". (سبل الهدى: ٣/٤)

تعليقي: دلالة على تمكنه من علم المشكل والمختلف في الحديث وإعماله في كتابه كما في: (سبل الهدى ١/١)، وهذا بالفعل ما وجدته عند دراسة منهجه في كتابه، وكانت من نتائج بحثي الثمينة والنفيسة.

[النقطة الثامنة: الجمع بين الرواة]

قال الإمام الصالحي: "وإذا ذكرت حديثًا من عند أحد من الأئمة فإني أجمع بين ألفاظ رواته إذا اتفقوا". (سبل الهدى: ٣/٤)

تعليقي: دلالة على جمعه للروايات والتفاضل بينها، وإعطاء المشترك اللفظي، وهذا ما أسميته بـــ الرواية الجمعية، وهذا حق قد سطره الصالحي عبر كتابه في مواضع لا يحصى عددها. كما في: (سبل الهدى ١/١)

[النقطة التاسعة: العزو لأكثر من مخرِّج]

قال الإمام الصالحي: "وإذا عزوته لمخرجين فأكثر، فإني أجمع بين ألفاظهم إذا اتفقوا، فلا يُعترض عليَّ إذا عزوت الحديث للبخاري ومسلم وذكرت معهما غيرهما، فإن ذلك لأجل الزيادة التي عندهما غالبًا". (سبل الهدى: ٣/٤)

تعليقي: دلالة على وقوفه على كتب التخريج والزوائد الحديثية كما في: (سبل الهدى ١/١)، وهذا إن دل فإنه يدل على تمكنه من علوم الحديث، ووقوفه على فقه الأئمة المحدثين في كتبهم، وتطبيقه لـــ التخريج الموسوعي، وكذا منهجه في تسطير الزوائد على الصحيحين.

[النقطة العاشرة: الترضي والترحم]

قال الإمام الصالحي: "وإذا كان الراوي عن النبي ﷺ صحابيًا قلت: "رضي الله تعالى عنه" كما في السبل (٣/٤)، "وإن كان تابعيًا أو من أتباع التابعين قلت: "رحمه الله تعالى". كما في السبل (٤/٤)

تعليقي: تفريقه اللفظي بين الصحابي والتابعي؛ بترضيه على الصحابي، وترحمه على التابعي وتابعه؛ رسوخٌ عقدي لغوي مستقيم.

المعيار الثالث

منهجية المقدمة في البحث السّيري عند الصالحي

النقطة الأولى: منهجية الصالحي في التعامل مع كتب المتون الحديثية

قال الإمام الصالحي: "وإذا أطلقت (الشيخين) فالبخاري ومسلم، أو قلت: متفق عليه فيما روياه، أو الأربعة فأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي، أو الستة: فالشيخان والأربعة، أو الخمسة فالستة إلا ابن ماجة، أو الثلاثة: فالأربعة إلا هو، أو الأئمة: فالإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد والستة والدار قطني، أو الجماعة فالإمام أحمد والستة". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: هذه إشارة إلى تعامله مع كتب الصحاح المُعتمدة وطريقة الإشارة إليها، وتفصيلها على النحو التالي:

البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، وكتابه: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه).

مسلم: هو مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، وكتابه: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله).

أبو داود: هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني، وكتابه: (سنن أبي داود).

الترمذي: هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، وكتابه: (الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل والمعروف بسنن الترمذي).

ابن ماجه: هو محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني، وكتابه: (المسند والمعروف بسنن ابن ماجه).

مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني، وكتابه: (الموطأ).

الشافعي: هو محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي، وكتابه: (اختلاف الحديث والمسند) وكلاهما له.

أحمد: هو أحمد بن حنبل، وكتابه: (المسند).

الدار قطني: هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدار قطني، وكتابه: (سنن الدار قطني).

النقطة الثانية: منهجية الصالحي في التعامل مع كتب المغازي والسير

قال الإمام الصالحي: "وإذا أطلقت (أبو عمر) فالحافظ يوسف بن عبد البر". (سبل: ٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر، ودلالة على اعتماده على كتاب: (الدُرر في اختصار المغازي والسير)، وهو كتاب له أكثر من طبعة، ويُعد من أهم كتب السيرة، وأُصنِّفهُ من الكتب المهمة في علم المغازي، وهو اختصار لسيرة النبي ﷺ، يغطي ولادته ووفاته ويُفصّل في حروبه وغزواته ويركز على الأحاديث النبوية الصحيحة والموثوقة، مع تجنب الإسهاب والتكرار، وذلك بغية اختصار سيرة النبي ﷺ وإبراز أهم أحداثها بطريقة موجزة ومنظمة، واللافت للنظر أن الصالحي قد بدأ به، ولا أدري هل لكثرة اعتماده عليه أم لشيء آخر، رغم اعتماده على جمعٍ غفيرٍ من كتب الأئمة من قبله.

قال الصالحي: "أو القاضي فأبو الفضل عياض، (أو الأمير) فالإمام الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله الوزيري البغدادي المعروف بابن ماكولا". (سبل الهدى: ٤/٤).

تعليقي: أما قوله "القاضي" فإشارة إلى القاضي عياض، واعتماده على كتابه: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، وهو كتاب جسّد علم الحقوق النبوي وهو أحد علوم السيرة النبوية، تناول مُصنِّفه صفات النبي ﷺ الخَلْقية والخُلُقية، ومعجزاته، وركز

على حقوقه على أمته، بالإضافة إلى بيان العقوبة المترتبة على الانتقاص منه، ويعتبر الكتاب مرجعًا أساسيًا في السيرة بعمومها، وأحد الكتب التي تلقتها الأمة بالقبول، وهو بمثابة مشروع دفاع معرفي وروحي عن النبي ﷺ وأما ابن ماكولا فكتابه الإكمال.

قال الصالحي: "أو السهيلي فالإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، أو الروض: فـــ (الروض الأنف) له". (سبل الهدى: ٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى السهيلي، ودلالة على اعتماده على كتاب: (الروض الأنف)، وهو من أفضل كتب الشروح على السيرة، ولم أر شرحًا مثله، ولقد أورد الصالحي أقوالًا عدة للسهيلي قام بعرضها أحيانًا ونقدها أحيانًا أخرى، فهو شرح موسع لسيرة النبي ﷺ، ألفه الإمام أبو القاسم السهيلي لشرح "سيرة ابن هشام" وتوضيح ما فيها من ألفاظ غريبة، ونسب غامض، ومعانٍ فقهية، ومسائل بلاغية ونقدية، ويُعد الكتاب من أهم وأشهر كتب السيرة النبوية وأجل شروحها، ويعتبر ذخراً علمياً وأدبياً وبلاغياً مهماً في الدراسات الإسلامية.

قال الصالحي: "وإذا أطلقت (أبو الفرج) فالحافظ عبد الرحمن بن الجوزي". (سبل الهدى: ٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى ابن الجوزي، ودلالة على اعتماده على كتاب: (الوفا في أحوال المصطفى). وهو من أفضل كُتب السيرة النبوية وأول كتاب جمع علوم السيرة النبوية في كتاب واحد، وقد سطَّره إمام من أئمة المسلمين في المرحلة القنطرية الواقعة بين المتقدمين والمتأخرين، فهو ناقل علوم المتقدمين للمتأخرين.

قال الصالحي: "أو أبو الخطاب فالحافظ عمر بن الحسن بن دحية". (سبل الهدى: ٤/٤).

تعليقي: إشارة ودلالة على اعتماده على كتاب (التقريب في علم الغريب) لابن خطيب الدهشة.

قال الصالحي: "وأبو ذر فالحافظ أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني، أو الإملاء فما أملاه على سيرة ابن هشام". (سبل الهدى: ٤/٤).

تعليقي: هو مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود الخشنى الجياني الأندلسي، أبو ذر، ويُعرف كأبيه بابن أبي الركب (المتوفى: ٦٠٤هـ)، إشارة ودلالة على اعتماده على كتابه: (الإملاء المختصر في شرح غريب السير)، وهو عمل موسوعي في علم اللغة العربية، ألفه أبو ذر مصعب بن أبي بكر الخشني (المتوفى سنة ٦٠٤هـ)، وهو عبارة عن شرح لغريب الأبيات الشعرية والمفردات الصعبة الواردة في سيرة ابن هشام بهدف تفسير الكلمات والمعاني الغريبة الموجودة في هذا النص التاريخي الهام.

قال الصالحي: "أو "زاد المعاد" فزاد المعاد في هدي خير العباد للإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة ودلالة على اعتماده على كتاب: (زاد المعاد في هدي سيرة خير العباد) لابن القيم الجوزية، وهو كتاب في فقه السيرة النبوية، فصّل صاحبه أبوابه على أبواب الفقه بجميع أنواعه، وله فيه دلالات وترجيحات وآراء نفيسة.

قال الصالحي: "وإذا أطلقت (أبو الربيع) فالثقة الثبت سليمان بن سالم الكلاعي، أو الاكتفاء: فكتاب: (الاكتفاء) له".

تعليقي: إشارة إلى الكلاعي، ودلالة على اعتماده على كتاب: (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا)، وهو كتاب فريد من نوعه في ماهية التصنيف، وكيفية التعامل مع سيرة الرسول بشكل مختلف، استخدم فيه صاحبه المنهج التاريخي القائم على العرض والتحليل، وكذا الأسلوب الأدبي والبلاغي الذي تميز به وقلّ فيه العزو والإشارة والإحالة.

قال الصالحي: "أو (أبو الفتح) فالحافظ محمد بن محمد بن سيد الناس، أو العيون: فعيون الأثر له". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى ابن سيد الناس اليعمري، ودلالة على اعتماده على كتاب: (عيون الأثر في فهوم المغازي والشمائل والسير)، و يُعد من أهم وأصح كتب السيرة، يعرض نسب النبي وأحداث حياته الغزوات والسرايا وترتيبها تاريخياً، ثم يختتم بشمائله وصفاته وأخلاقه، وقد أثنى عليه العلماء واعتمدوا عليه في مصنفاتهم اعتماداً رئيساً مثل السيرة الشامية والحلبية.

قال الصالحي: "أو (القطب) فالحافظ قطب الدين الحلبي، أو المورد؛ فالمورد العذب له". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى الإمام الحافظ قطب الدين عبد الكريم الحلبي المتوفى ٧٣٥هـ، وكتابه: (المورد العذب الهني في الكلام على السيرة) يتناول الكتاب مواضيع

مثل معجزات النبي محمد ﷺ والعشرة المبشرين بالجنة، وقد تناولته دراسات أكاديمية كرسائل ماجستير وقد حُقق مؤخراً في شكل رسائل علمية في المملكة العربية الإسلامية.

قال الإمام الصالحي: "وإذا أطلقت الزهر؛ فالزهر الباسم، أو الإشارة فالإشارة إلى سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ، كلاهما للحافظ علاء الدين مغلطاي". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى الحافظ علاء الدين مغلطاي، ودلالة على اعتماده على كتاب: (الزهر الباسم والإشارة)، وهو كتاب مختصر في السيرة لكنه عني بتطبيق المنهج الحديثي في الروايات الحديثية. ومغلطاي هذا من أجود من كتب في السيرة بالأسلوب النقدي الحديثي

قال الإمام الصالحي: "أو الإمتاع: فكتاب إمتاع الأسماع للإمام العلامة مؤرخ الديار المصرية الشيخ تقي الدين المقريزي". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة ودلالة على اعتماده على كتاب: (إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع) لتقي الدين المقريزي، وهو كتاب موسوعي في سيرة النبي لشيخ المؤرخين بمصر في زمانه ويعد كتاب موسوعة لاغنى عنها

قال الإمام الصالحي: "أو المصباح: فالمصباح المنير للإمام العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة ودلالة على اعتماده على كتاب: (المصباح المنير) للفيومي، وهو معجم لغوي ألفه الإمام أبو العباس الفيومي، ويعتبر من أهم معاجم اللغة العربية المتخصصة في شرح معاني الكلمات المأخوذة من كتاب الشرح الكبير للرافعي، وهو كتاب فقهي يمتاز الكتاب بتقديمه شرحًا لغويًا وفقهيًا وإعرابيًا وتصريفيًا لكثير من الكلمات العربية، مع ترتيبها أبجديًا على حسب الحرف الأول من الكلمة، مما يجعله مرجعًا هامًا للباحثين عن المفردات العربية.

قال الإمام الصالحي: "أو التقريب: فالتقريب في علم الغريب لولده محمود الشهير بابن خطيب الدهشة". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة ودلالة على اعتماده على كتاب: (التقريب في علم الغريب) لابن خطيب الدهشة، وهو كتاب في علم غريب الحديث؛ أي دراسة الكلمات أو المصطلحات التي قد تكون غامضة أو غير معروفة في متون الأحاديث، ويهدف إلى شرح وتوضيح الأحاديث النبوية؛ مما يسهل فهمها وتفسير وعلومها المختلفة.

قال الإمام الصالحي: "أو الحافظ: فشيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر أو الفتح: ففتح الباري له، أو شرح الدرر: فشرحه على ألفية السيرة لشيخه العراقي". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى الحافظ ابن حجر، ودلالة على اعتماده على (فتح الباري)، وشرحه لألفية العراقي، وهو أحد شروح "ألفية العراقي" في علم الحديث، ولكنه في الواقع شرح الحافظ زكريا الأنصاري وليس ابن حجر، و يتسم الشرح باللغة السهلة،

وقد اعتمد فيه الأنصاري على شروح سابقة مثل شرح السخاوي وشرح الناظم العراقي، وضمّنه شروح ابن حجر العسقلاني، ليوضح معاني الألفية البالغة ١٠٠٣ بيت، ويفكّ عباراتها، ويحرر مسائلها، مقدماً بذلك مرجعاً هاماً لطلاب العلم الشرعي في علوم الحديث.

قال الإمام الصالحي: "أو النور: فنور النبراس للحافظ برهان الدين الحلبي". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة ودلالة على اعتماده على كتاب (نور النبراس) للحافظ برهان الدين الحلبي.

قال الإمام الصالحي: "أو الغرر؛ فالغرر المضية للعلامة محب الدين بن الإمام العلامة شهاب الدين بن الهائم". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة ودلالة على اعتماده على كتاب (الغرر المضية) للهائم.

قال الإمام الصالحي: "أو السيد: فشيخ الشافعية بطيبة نور الدين السمهودي".

تعليقي: إشارة إلى شيخ الشافعية بطيبة: نور الدين السمهودي.

قال الإمام الصالحي: "أو: الشيخ، أو: شيخنا: فحافظ الإسلام بقية المجتهدين من الأعلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، رحمهم الله تعالى". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: إشارة إلى شيخه جلال الدين السيوطي واعتماده على بعض كتبه كـــ (الجامع الصغير) وغيره.

النقطة الثالثة: منهجية الصالحي في التعامل مع الاختصارات اللغوية

قال الإمام الصالحي: "وحيث أطلقت الموحدة: فهي ثاني الحروف، أو المثلثة: فهي الرابعة، أو التحتية: فهي آخر الحروف". كما في السبل (٤/٤).

النقطة الرابعة: إفراده لذكر الإمام الأعظم وتعظيم شأنه

قال الإمام الصالحي: "و لم أقف على شيء من الأسانيد المخرجة للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان –رضوان الله تعالى عليه– فلذلك لم أذكره". كما في السبل (٤/٤).

تعليقي: وذكره للإمام الأعظم وأنه لم يجد شيئًا في مسانيده دلالة على اهتمامه وعنايته بما ألفه الإمام الأعظم، ولِمَ لا؟ وقد كتب في مناقبه كتابًا وسمّاه: (عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان) ، ولعله لم يقف على مرويات أبي حنيفة عن ابن إسحاق في مسانيده المعروفة كالتي عند أبي نعيم الأصبهاني.

النقطة الخامسة: التصريح بعنوان الكتاب

قال الإمام الصالحي: "وسمّيت هذا الكتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد)". كما في (٥/٤).

تعليقي: وفي هذا تصريح بعنوان كتابه كاملًا وما يحويه من مادة وعلوم.

النقطة السادسة: تقريظه لكتابه

قال الإمام الصالحي: "وإذا تأملت هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمري وذخيرة دهري، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يمنّ علي بالنظر إليه في دار النعيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". كما في السبل (٥/٤).

نقدٌ عام للمقدمة

مما سبق كانت الملامح المنهجية العامة عند الصالحي في كتابه كما صرَّح بها في مقدمته، وأستطيع أن أقول: إن هذه قطع من الخطوط العريضة، أو المنهجية البحثية التي سار عليها المؤلف في كتابه، حيث استخرجنا واستنبطنا منهجه على الحقيقة فيما سوف نتعرف عليه في الفصول القادمة.

لكن اللافت للنظر أن الصالحي لم يذكر في مقدمته إلا الأئمة المتأخرين في فنون المغازي والسير، ولم يتعرض لأصحاب المشارب الأولى في هذا الفن أمثال: (الزهري، وابن إسحاق، وموسى بن عقبة، والواقدي، وابن سعد، والبلاذري، والبيهقي، والماوردي، وابن حزم...) وغيرهم؛ مما يجعلنا نشير إليه بأصابع النقد من صنيعه هذا! حيث إن ديدن الأئمة في مقدماتهم يذكرون أئمة الفن من المتقدمين وأصحاب الموارد الأولى أولًا، ثم يغفلون تارة عن المتأخرين وتارة أخرى يذكرون بعضهم، إلا أن الصالحي خالف منهجهم في ذلك رغم أن منبع رواياته من هؤلاء

الأعلام الأفذاذ، وهذا ما كشفت عنه دراساتي بهذا الكتاب، فلقد كتبت في هذا الكتاب –أعني سبل الهدى والرشاد– دراسات متنوعة؛ وهي:

دراسة موسومة بـــ (منهج الإمام الصالحي الشامي المتوفى (٩٤٢هـــ) في تناول السيرة النبوية في الجزأين الرابع والخامس من خلال كتابه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد).

دراسة موسومة بـــ (علم المغازي وموارده من خلال كتاب سبل الهدى والرشاد).

دراسة موسومة بـــ (منهج البحث السيري والمغازي عند الإمام دراسة تأصيلية وتطبيقية على كتاب سبل الهدى والرشاد).

دراسة موسومة بـــ (الإمام الصالحي الشامي خاتمة المحدثين والسيريين وكتابه سبل الهدى والرشاد).

دراستنا هذه والموسومة بـــ (المعايير السيرية عند الإمام الصالحي الشامي مقابلة منهجية) ، وغالبهم قد طويته تحت عنوان الموسوعة الموسومة بـــ (موسوعة الصنعة المغازية في كتاب سبل الهدى والرشاد للإمام الصالحي الشامي)؛ فتبين لي من خلال دراساتي حول هذا الكتاب أن الصالحي أكثر من ذكره لروايات المتقدمين من أصحاب الصنعة، فلِمَ لم يذكرهم في مقدمة كتابه و لم يذكر إلا أعلام المحدثين فحسب؟! وهذا أراه ثغرة كبيرة وقع فيها الإمام –عفا الله عنا وعنه–.

المعيار الرابع

المناهج العلمية عند الإمام الصالحي الشامي

أولًا: المناهج العامة

(١)اتساع مفهوم السيرة

اتسع مفهوم السيرة في هذا الكتاب إلى ما هو أبعد من الاقتصار على معنى التاريخ النبوي فحسب؛ بل تعدى هذا بمراحل عديدة، منها:

مرحلة الشمولية السيرية: جمع الصالحي بين علوم السيرة كافة في سِفرٍ واحد؛ حيث جمع بين (السيرة والمغازي)، و(الدلائل والخصائص)، و(الشمائل والحقوق).

مرحلة الشمولية الشرعية: حيث أراد المصنف بمفهومه عن السيرة شمولية علوم السنة كافة، بل وأضفى عليها علوم الشرع كاملة كما سوف نرى في مباحث الصناعات العلمية بالكتاب؛ فنجد الفقه والتفسير والعقيدة والحديث والتاريخ والتراجم والجغرافيا معالمها كائنة ومُسطرة بين يدي هذا السفر العظيم.

(٢)شمولية علوم السيرة

فطن الصالحي لما سطّره الإمام الجهبذ ابن الجوزي في مرحلة القنطريين – الواقعة بين المتقدمين والمتأخرين– حينما كتب (الوفا بأحوال المصطفى)؛ حيث جمع فيه علوم السيرة النبوية، ويُعد أول جامع لعلوم السيرة في مصنف واحد، فجاء الصالحي متأخرًا مُقلدًا لسيده وشيخ أشياخه، لكنه توسع في الروايات بشكل لم يُسبق له من

قبل؛ فجمع كل روايات الحدث الواحد أو المسألة الواحدة أو الصفة الواحدة أو المعجزة الواحدة كما في: (سبل الهدى ١/٦٠)؛ حيث جمع فيها كل ما روي سواء أكان صحيحًا أو ضعيفًا أو منكرًا أو حتى موضوعًا، إلا أنه أعمل قواعد الحديث في غالبها فتجد السمة السائدة دائرة بين الصحة والحسن.

(٣)الربط بين علوم الشرع

ربط الصالحي في كتابه بين علوم الشرع في بوتقة واحدة وحبكة وسبكة قلّما تجدها عند سيري قبله؛ فربط بين (السيرة وعلومها) من ناحية، وبين (علوم السيرة وعلوم الشرع) من ناحية أخرى كما بينت سابقًا.

(٤)تسخير العلوم

استطاع الصالحي أن يُسخِّر جُل العلوم الأصلية والفرعية بعضها لبعض حتى ظهر نتاجه في أبهى صوره؛ حيث سخّر العلوم الشرعية وعلوم الآلة لخدمة النص السيري بشتى علومه، ومن هذا ما يلي ذكره:

- سخَّر الصالحي علم اللغة وفقهها في السرد التاريخي والمغازي والشمائلي والخصائصي والدلائلي، كل هذا انتظم تحت التنبيهات الواردة ذيل كل مبحث من مباحث الكتاب، مستدعيًا الألفاظ والأسماء والمصطلحات من خلال المعاجم؛ لضبطها وتفسير ما أشكل عليه منها كما في: (سبل الهدى ٤/٩٠).

- سخَّر الصالحي علم الفقه خادمًا لصنعته السيرية في أبواب "الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من المعاملات والعبادات" كـــ (جماع أبواب سيرته ﷺ في الطهارة للصلاة)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الفرائض)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في السجدات التي ليست بركن)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في يوم الجمعة وليلته)، و(جماع أبواب سيرته في صلاة الفرض في السفر ﷺ)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الخوف)، و(جماع أبواب سيرته في صلاة النوافل التي لم تُشرع لها الجماعة) إلى آخره.
- سخَّر الصالحي علم العقيدة في حل رموز الروايات السيرية والخصائصية والدلائلية كما في (أبواب معراجه)، و(جماع أبواب معجزاته السماوية ﷺ)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في المياه وعذوبة ما كان منها مالحًا)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في الأطعمة)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في الأشجار)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في الجمادات)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في الحيوانات)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في رؤيته المعاني في صورة المحسوسات)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في انقلاب الأعيان له)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في تجلي ملكوت السموات والأرض واطلاعه على أحوال)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في إحياء الموتى وإبراء المرضى)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في إضاءة العرجون والعصا والأصابع والبرقة)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في رؤية بعض الصحابة الجن وسماع كلامهم إكرامًا له ﷺ)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في

إخباره رجالًا بما حدثوا به أنفسهم وغير ذلك)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ فيما أخبر به من الكوائن بعد)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في إخباره بالفتن والملاحم الواقعة بعده)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في بعض ما أخبر من علامات الساعة وأشراطها)، و(جماع أبواب معجزاته عليه الصلاة والسلام في عصمته من الناس).

- سخَّر الصالحي علم الحديث خادمًا لصنعته السيرية بجميع علومها؛ فنجد الصنعة الحديثية والاستشهادات بالأحاديث والمرويات الحديثية لا تنفكُ أبدًا عن النص السيري بشتى علومها سواء كان النص معنيًا بالتاريخ النبوي كما في: (سبل الهدى ١/٢٦)، أو الشمائل كما في: (سبل الهدى ٨/٧٧)، أو الدلائل كما في: (سبل الهدى ١/١٢)، أو الخصائص كما في: (سبل الهدى ٩/٢١٠)، أو المغازي كما في: (سبل الهدى ٤/٨٩)، ليس هذا فحسب، بل سخّر علوم الحديث ذاتها لخدمة النص السيري؛ فنجده يستدعي علم المشكل في التوفيق بين الروايات المتناقضة كما في: (سبل الهدى ١/٣٠٠)، وكذلك يستدعي علم الرجال في الحكم على سند الحديث وطرقه كما في: (سبل الهدى ٥/٥٦)، وكذا علم المصطلح للحكم على الحديث بعمومه كما في: (سبل الهدى ١٢/٣١١)ونادرًا ما يستدعي علم العلل كما في: (سبل الهدى ١١/٩٢).
- سخَّر الصالحي علم التفسير وعلوم القرآن في الاستشهادات بالآيات القرآنية من حيث مناسبة نزول الآية في حادثة أو موقعة أو غير ذلك كما في: (سبل الهدى ٤/٤٤)، فاستدعى كتب التفاسير بالمأثور كما في:

(سبل الهدى ١٧/٥) وبالرأي كما في: (سبل الهدى ١٢١/١٠) وباللغة؛ لتخدم نصه خير خدمة كما في: (سبل الهدى ٤٩/٤).

- سخَّر الصالحي علم التاريخ وهو أم العلوم قاطبة ليعلم وقت الحدث وموقعه وفعاليات الحدث ونحو ذلك من خلال كتب التواريخ الأولى المسندة والمتأخرة، وطبّق هذا في: (جماع أبواب الأمور الكائنة بعد مولده وقبل بعثه ﷺ)، و(جماع أبواب مبعثه ﷺ)، و(جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد بعثته ﷺ)، و(جماع أبواب مولده الشريف ﷺ)، و(في سبب تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امرأة من بني زهرة) إلى آخره.
- سخَّر الصالحي علم الأدب مُستخدمًا إحدى صوره العظيمة المتمثلة في الشعر، فجمع ما قيل على ألسنة الصحب الكرام عامة وفي المغازي خاصة، بل وجمع بعض المنظومات التي سيقت في بعض المواطن على ألسنة بعض الحفاظ وغيرهم كما في: (سبل الهدى ٨٢/٥).
- سخَّر الصالحي علم الجغرافيا والخطط في معرفة الأماكن التي نزل بها القدم الشريف واستقر بها واستكان والتي غزا فيها وأقام بها كما في: (سبل الهدى ١١/٥)، وكذا التي رحل إليها مسافرًا أو تاجرًا أو مهاجرًا أو داعيًا أو متنقلًا على البراق لرحلته العظيمة في الإسراء والمعراج كما في: (سبل الهدى ١١٩/١).
- وأخيرًا، سخَّر الصالحي علم الأنساب في معرفة نسبه الشريف ونسب آله أجمعين، كما في: (جماع أبواب نسبه الشريف ﷺ)، و(جماع أبواب أسمائه

ﷺ وكُناه)، و(جماع أبواب بيان أعمامه ﷺ وعماته وأولادهم وأخواله) إلى آخره.

(٥)الاستعانة بالعلوم المساعدة

استعان الصالحي في كتابته في هذا السفر بمجموعة من العلوم المساعدة التي لا تنفك أبدًا عن العلوم الأصلية، فالوصول إلى مرادها ومغازيها لا يتم إلا من خلال استدعاء تلك العلوم المساعدة، وذلك كـــ الاستعانة بعلم الأدب المتمثل في الشعر كما في: (سبل الهدى ٣٩٠/٤)، وكذا علم الجغرافيا المختص بالمواقع السيرية والمغازية كما في: (سبل الهدى ٤٠١/٥)، وكذا علم التراجم والأنساب كما في: (سبل الهدى ١٩٠/٦)، وأخيرًا الرقائق كما في: (سبل الهدى ١/١) مما أعطى للكتابة السيرية رونقًا خاصًا وصورة متكاملة.

ثانيًا: المناهج الخاصة

يُعد كتاب (سبل الهدى والرشاد) موسوعي المادة وموسوعي المنهج؛ حيث جمع بين مناهج الصنعة والصُّناع.

أما الأولى: فلقد جمع بين علوم كثيرة من علوم الشرع كـــ الحديث والتفسير والسيرة واللغة والتاريخ والفقه والعقيدة والجغرافيا والتراجم والطبقات.

وأما الثانية: حيث جمع بين مناهج متعددة كـــ الاستقصاء، والاستيعاب، والتأصيل، والتحليل، والموضوعية، والتعددية.

وسأفرد ذلك في نقاط عامة، أهمها:

(١)منهج الاستيعاب

استوعب الصالحي في كتابه غالب أحاديث السيرة النبوية؛ بل إن شئت فقل: إنه استوعب غالب أحاديث السنة المتمثلة في سيرته ﷺ كما في: (سبل الهدى ١٦٧/١)، وشمائله ﷺ كما في: (سبل الهدى ٨٩/٧)، وخصائصه ﷺ كما في: (سبل الهدى ١٢٢/١١)، ومغازيه ﷺ كما في: (سبل الهدى ٦٥/٥)، ودلائله ﷺ، كما في: (سبل الهدى ٥١/٣) وفقهه ﷺ كما في: (سبل الهدى ٢٠٠/٧)، وفتواه وأحواله ﷺ بالكلية كما في: (سبل الهدى ٨٠/٧)، فيكاد يجمع الكتاب ما سُطِّر في كتب الصحاح خاصة والسنة عامة.

(٢)منهج الاستقصاء

استقصى صاحب الكتاب في كتابه مرويات السيرة؛ فلا تجد مروية قد سُطِّرت في كتب الأقدمين والمعاصرين له إلا وقد دوّنها وسطّرها في كتابه، ويدل على ذلك كثرة الموارد التي أشرب منها مادة كتابه.

(٣)منهج التعددية

والتعددية في هذا الكتاب لها صور مختلفة، منها:

التعددية في العلوم: فقد جمع بين علوم الشرع بأصولها وفروعها؛ كالفقه والحديث والتفسير والسيرة والتاريخ والعقيدة واللغة.

التعددية في صور التصانيف: فقد جمع بين الموارد والمشارب المختلفة في حبكة فريدة من نوعها (متقدمة ومتأخرة) (أصلية وفرعية).

التعددية في الأخبار وطرائقها: فقد يروي الخبر الواحد من مصادر عديدة، ويجمع بين ألفاظه وبين طرقه الصحيحة والسقيمة.

(٤)منهج التأصيل

بُني هذا الكتاب على منهج التأصيل؛ ففي كل باب من أبوابه تجد التأصيل عنوانه، إن طرق مسألة سيرية أو مغازية أو حديثية أو لغوية أو تراجمية؛ أصّل لها.

هذا، ولا يمنع أن مصنف كتابنا قد أُخذ عليه تساهله في الأخذ من بعض أشياخه المتأخرين دون الرجوع إلى أصحاب الصنعة من المتقدمين.

(٥)منهج الموضوعية

والموضوعية هنا أقصد بها صورتين، أولهما: الموضوعية في طرح الخلاف إن وجد في مسألة ما؛ فلقد سطّر هذا الكتاب المسائل الخلافية الواردة أثناء الباب، فعرض الآراء جميعها بموضوعية تامة ومجردة، ثم رجّح حسب ما هُدي إليه المؤلف من ترجيح.

والصورة الثانية للموضوعية: هي منهج الكتاب الذي أقامه صاحبه على السرد الموضوعي؛ فيذكر الموضوع ومن تحته الأخبار والروايات والقصة التي ذكرت في هذا الموضوع بشتى جوانبه.

(٦)منهج التتبع

ومنهج التتبع قلّما تجد سيري يقوم به، فلا يقوم به إلا من خُلط دمه بعلوم الحديث كمصنفنا هذا الذي صنف في الحديث وعلومه، بل وأعمل هذا العلم في المرويات السيرية والمغازية، فكان لزامًا عليه أن يتتبع المرويات والرواة، وهذا ما حدث في كثير من المواضع المختلفة والمتنوعة. كما في: (سبل الهدى ١/٣٣٣)

(٧)منهج التعقيب والترجيح

لم يكتفِ المصنف بنقل الرواية، أو بنقل الخلاف الدائر في مسألة ما، بل يناقش ويعقب عليها، ثم يرجح حسب ما آل إليه ترجيحه. كما في: (سبل الهدى ٤/١١)وفي باب المغازي غالبًا ما يقع هذا في تواريخ الغزوة وموقعها وعدد أفرادها... إلخ. كما في: (سبل الهدى ٤/٤٩)

المعيار الخامس

الصناعات العلمية في البحث السيري عند الصالحي

مقدمة في الصناعات العلمية

تُعدُ الوقفة المتأنية على الصناعات العلمية التي أعملها الأئمة في مُصنّفاتهم من أهم ما تُنتجه دراسة مناهجهم البحثية؛ فكلما كان الإمام موسوعيًا، مُتشربًا للعلوم الشرعية والإنسانية؛ انعكس ذلك جليًا على مؤلفه؛ مما يثري بحثه بحزمة من الصناعات العلمية المتنوعة، ويتجلى هذا الأمر بشكل أوضح حينما تتضافر موسوعية الإمام مع

اتساع المادة العلمية التي يفرضها الموضوع نفسه، وهذا بالضبط ما حدث مع الإمام الصالحي في كتابه الجليل ...

فلم يقتصر كتاب "سبل الهدى والرشاد" على المادة السيرية فحسب؛ بل تناول مجموعة واسعة من العلوم المختلفة، مُتسمًا بمنهجية جمعت بين التعددية، والاستيعاب، والشمولية، والتأصيل، ولعل طبيعة السيرة النبوية ذاتها تُحتِّم على الباحث الإلمام بشتى فروع المعرفة الإسلامية، إلا أن الفرق يكمن في مدى استيعاب كل إمام لتلك المواد العلمية.

هذا، وقد تبين لي من خلال الغوص في كتاب (سبل الهدى والرشاد) لسنوات عديدة أن هذا الكتاب قد أودع فيه صاحبه صناعات عدة، أولها الصناعات الخاصة بعلوم السيرة النبوية والتي أجهزت عليها وأوفيتها حقها من شتى جوانبها وهي المتمثلة فيما يلي حسب الترتيب الزمني لتاريخية العلم، وهي على النحو التالي:

- الصنعة المغازية -الصنعة السيرية -الصنعة الشمائلية
- الصنعة الخصائصية -الصنعة الدلائلية -الصنعة الحقوقية

وقد وقفت على تلك الصناعات واستخرجتها من هذا الكتاب وأجهزت عليها في شكل أبحاث موسوعية عددها خمس موسوعات، أولها موسوعة الصنعة المغازية في كتاب سبل الهدى والرشاد.

ثم أثناء تبحري في كتاب سبل الهدى وفي تلك الصناعات التي ذكرتها سابقًا، وقفت على مجموعة أخرى من الصناعات التي تختص بالعلوم الشرعية والإنسانية المتشابكة والمتلاصقة لطبيعة المادة السيرية؛ وهي على النحو التالي:

- الصنعة الحديثية – الصنعة اللغوية – الصنعة الفقهية
- الصنعة العقدية – الصنعة التاريخية – الصنعة الجغرافية
- الصنعة الأدبية – الصنعة التراجمية – الصنعة المعجمية

ولعلي في هذه الصفحات القادمة أُقدم بعض الإشارات والمعالم لتلك الصناعات؛ لعلها تجد من يتفرغ لها من أهل الاختصاص كلٌ حسب تخصصه.

النقطة الأولى: الصنعة السيرية في كتاب سُبُل الهُدى وموقعه بين كتب السير

عند الحديث عن الصنعة السيرية في هذا الكتاب لا يسعفنا كتابتها في عدة صفحات بل نحتاج لمجلدة كاملة؛ حيث جمع الإمام الصالحي غالب الصناعات التي قد صنعها المصنفون المتقدمون في مصنفاتهم السيرية؛ كصنيع الواقدي في المغازي، وصنيع محمد بن سعد في الطبقات، وصنيع ابن إسحاق في سيرته، وصنيع السهيلي في روضه، وصنيع ابن حزم في جوامعه، وصنيع البيهقي في دلائله وكذا الأصبهاني، وصنيع المتأخرين من أشياخ الصالحي وأقرانه في مصنفاتهم، كصنيع المقريزي في الإمتاع، وصنيع السيوطي في الخصائص... إلخ.

هذا، ولقد جمع الصالحي المرويات وسردها على النسق السيري المعهود، ثم فاضل بينها، وتعقب عللها، ونهج منهج المؤرخين في تتبع الأحداث، وذكر ما حدث من الوقائع خلال التاريخ النبوي؛ كما هو مشاهد في الكتاب كله ...

اصطبغ هذا الكتاب بصبغة الجوامع، والتي ظهرت في كل سطر قد سطّره المؤلف من رواية مغازية أو حديثية، حتى أنه ترجم للأبواب الرئيسة بترجمة: (جماع كذا)، والحق أن المصنف أعمل هذه الصبغة تمام العمل؛ فلم يترجم لمجرد الترجمة دون إعمالٍ لها؛ بل أخرجها في أوفى صورها.

موقعه بين كتب السير

أما عن موقع كتاب (سبل الهدى والرشاد) بين كتب السير القديمة والمعاصرة للمُصنِّف، فإنها تُعد آخر الموسوعات السيرية التي ضمت بين دفتيها علوم السيرة؛ فلقد سبقهُ في ذلك الإمام محمد بن سعد في (الطبقات)، إلا أنه جمع ما لم يجمعه ابن سعد؛ وذلك لتأخر الصالحي عن ابن سعد بقرونٍ عديدة؛ فأتيحت له فُرصة الاطلاع على شتى الكتب التي صُنِّفت في علوم السيرة.

فعلى سبيل المثال في علم الدلائل؛ جمع الصالحي في كتابه ما دوَّنه البيهقي في دلائله، والأصبهاني في دلائله، وابن سعد في طبقاته، ثم قام بغربلة هذه المرويات؛ فأخرج منها السقيم وأبقى على الصحيح -حسب اجتهاده الحديثي-، وهذا كله على سبيل المثال لا الحصر؛ لذا أقول بملء في: إن هذا الكتاب وقع في عصر المتأخرين، وعلى يد أحدهم من متأخري المتأخرين، إلا أنني أرى أنه قد وقع سهواً من عصر

المتقدمين تصنيفًا ومصنفًا، ولهذا أقول: إنه من النادر أن نقف على كتاب قد صنفه إمام متأخر ونسمه بسمات كتب المتقدمين.

وفي ختام كلماتي، أقول: إن هذا الكتاب هو أفضل كتاب جمع علوم السيرة -دون اصطلاحية- جمعًا وافيًا حصر فيه جميع مرويات علومها، والله تعالى أعلم.

النقطة الثانية: الصنعة الحديثية في كتاب سبل الهدى والرشاد

أما بالنسبة لـــ الصنعة الحديثية لهذا الكتاب، فإنه يعد أحد مصادر كتب السنة والحديث التي يُعتمد عليها في دراسة التاريخ النبوي، خاصة أحاديث النبي ﷺ؛ فلقد تشبعت مادة هذا الكتاب بالأحاديث النبوية الغفيرة بشتى أنواعها وصورها؛ فتجد فيه الصحيح بأقسامه، والحسن بأنواعه، والضعيف بشتى صوره ومسالكه المختلفة إلا أن السمة الغالبة التي تظهر على أحاديثه وأخباره هي الصحة والحسن، والقلة القليلة ما بين الضعيف والمنكر والموضوع.

وتشهد لذلك الموارد الحديثية التي اعتمد عليها؛ فلقد تتبعت هذه الموارد فانبهر عقلي وفكري من كثرة عددها، ودقة إتقانه في النقل ودقة عزوه للتخريجات بل وحُكمه عليها كما في: (سبل الهدى ٢٢٣/١)؛ مما يدل على أن هذا المصنف محدث من طراز فريد، وعلى حد علمي لم أر سيريًا له دراية بعلوم الحديث مثل الصالحي من بعد ابن إسحاق وابن سعد والبيهقي وابن الجوزي ومغلطاي.

وتظهر الحنكة الحديثية حينما يذكر المصنف في صدر حديثه كلمة: "روى البيهقي من طريق فلان" كما في: (سبل الهدى ١٤٤/٤)، ثم يحكم على سلسلة

الإسناد؛ فيقول: "روى الطبراني برجال الصحيح"، معبراً عن حال علمه برواة الحديث. كما في: (سبل الهدى ٧٦/٥)

وفي موضع آخر يعبر عن طرائق الحديث؛ فيقول: "روى البيهقي من طريق الربيع بن بدر..." كما في: (سبل الهدى ٨٨/٣)، ثم يحكم عليه بقوله: "وهو ضعيف" كما في: (سبل الهدى ١١٧/٩) ، وفي موضع آخر يسكت عن التعليق، كقوله: "روى الإمام أحمد والبخاري وابن ماجه كذا". كما في: (سبل الهدى ١٠١/٤)

وقد يقدم الإمام أحمد على البخاري في ترتيب الرواة؛ للتقديم الزمني وغالب ظني في بعض صنيعه هذا أنه عندما يذكر رواية للبخاري في الأدب المفرد أو التاريخ بأنواعه، بينما السمة الغالبة في سائر الكتاب تقديم البخاري على بقية رواة الحديث مطلقًا. كما في: (سبل الهدى ٢٣/٣ ....)

وقد يختصر الرواة؛ فيقول: "رواه الأربعة، أو رواه الجماعة"، وغير ذلك من العبارات التي إن دلت فإنها تدل على صنعته الحديثية وإعماله لها في كتابه سبل الهدى والرشاد.

النقطة الثالثة: الصنعة اللغوية في كتاب سُبُل الهُدى والرّشاد

أما عن الصنعة اللغوية في هذا الكتاب فحدِّث ولا حرج؛ فلقد استطاع مؤلفه أن يقدم معجمًا خاصًا للألفاظ العربية التي وقفت على كثير منها و لم أجدها في كتب المعاجم اللغوية الكبرى، ووجدتها عند الصالحي في كتابه، وهذا من عجيب ما رأيت!

فلقد اهتم المصنف بترجمة الألفاظ الغريبة والمصطلحات الواردة عبر سرده السيري اهتمامًا بالغًا؛ مما جعله يُذيل كل باب من أبوابه بترجمة لغريب الألفاظ والكلمات. كما في: (سبل الهدى ٢٣/٤)

هذا، و لم يترك لفظًا غريبًا، أو مصطلحًا فيه إشكال إلا وترجم له، وبيّنه وأوضحه، وأزال إشكاليته. كما في: (سبل الهدى ٧٩/٤ ....)

و لم يقف الأمر عند هذا فحسب؛ بل قام بضبط الكلمة وتشكيلها كما في: (سبل الهدى ١٢/٤)، وأورد آراء أهل الصنعة اللغوية بل وناطحهم فيها كما في: (سبل الهدى ٢٢/٤)، ثم رجّح حسب محصوله اللغوي كما في: (سبل الهدى ٥٥/٥)، وتمكنه من اللغة، مما يعطي لنا -كنوع من التصور- أن هذا المصنف لغوي من طراز فريد، وليس في هذا عجب؛ حيث إنه صنّف في اللغة مُصنفات جياد، وهذا ما أوردته مُفصلاً في مبحث آثاره العلمية في رسالتي العلمية في هذا الموضوع.

النقطة الرابعة: الصنعة الفقهية في كتاب سبل الهدى والرشاد

إن من جميل ما ورد في شرف علم الفقه ما جاء على لسان الحبيب الأزهري الرسول الخاتم محمد بن عبد الله، حينما قال: "من أراد الله به خيرًا يفقهه في الدين"؛ الأمر الذي جعل كل من اشتغل بالعلم تهافت على هذا المسلك حتى أنني دائمًا وأبدًا أقول: إن الله قد أعلى كعب الأئمة الأعلام من الفقهاء فوق أقرانهم من المتخصصين في العلوم الأخرى بدرجات، ولعل هذا أمر مشاهد عبر الشهرة على ألسنة العامة قبل المتخصصة.

هذا، وإن من جميل طبيعة المادة الشرعية أن علومها متكاتفة ومتشابكة، كل منها يفتقر إلى الآخر؛ لذا تجد أن المادة السيرية من بين سياقاتها تنبع المادة الفقهية؛ لأن المشرِّع هو المنوط بدراسة تلك المادة.

ولعلي دائمًا أقول: إن السيري لا يتحقق له هذه النسبة إلا بإلمامه المتين بقواعد وأركان وأصول العلوم الشرعية قاطبة؛ ذلك لأن مادة تخصصه تتطلب ذلك بل وتجبره على ذلك.

هذا، ونحن بصدد إمامنا وكتابه نجد أن الكتاب قد تشرَّب بتلك المادة الفقهية من خلال طرح الصالحي لفقه العبادات من طهارة وصلاة وصيام وحج وزكاة على لسان المُشرع وهو النبي، ولقد ظهرت هذه الصنعة الفقهية في الجزء (الثامن والتاسع) حينما عرض المصنف أنواع الفقه بشتى أقسامه وصوره من عبادات ومعاملات وزواج وطلاق ووصية وميراث، وهذا تجده جليًا في عرض المصنف لتلك الأبواب عبر الجزأين (الثامن والتاسع) والمتمثلة في الأبواب الآتي ذكرها: (جماع أبواب سيرته ﷺ في الطهارة للصلاة)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الفرائض)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في السجدات التي ليست بركن)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في يوم الجمعة وليلته)، و(جماع أبواب سيرته في صلاة الفرض في السفر ﷺ)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الخوف)، و(جماع أبواب سيرته في صلاة النوافل التي لم تشرع لها الجماعة)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الليل)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الضحى وصلاة الزوال)، و(جماع أبواب صلاته ﷺ في صلاة العيدين)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في صلاة الكسوف)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الاستسقاء والمطر، والريح

والسحاب، والرعد والصواعق)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في المرضى والمحتضرين والموتى)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الصدقة)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الصوم والاعتكاف)، و(جماع أبواب حجه وعمرته ﷺ)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في قراءة القرآن)، و(جماع أبواب أذكاره ودعواته ﷺ)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في المعاملات وما يلتحق بها)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الهدايا والعطايا والإقطاعات)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في النكاح والطلاق والإيلاء)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الصيد والذبائح)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الإيمان والنذور)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الجهاد وما يلحق به)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في العلم وذكر بعض مروياته وفتاويه).

النقطة الخامسة: الصنعة العقدية في كتاب سبل الهدى والرشاد

علم العقيدة هو العلم الأكبر وهو علم أصول الدين؛ لأن غالب مادته لا تقبل القسمة على اثنين، ولا تقبل تعددية الأوجه والآراء؛ فالله واحد لا ثالث ثلاثة، والرسول الخاتم محمد، والدين الحق عند الله الإسلام، والجنة حق، والنار حق، واليوم الآخر حق، ويوم القيامة حق، والصراط حق؛ كل هذه الأمور يدور حول فلكها هذا العلم، فهي أمور قاطعة لا تقبل التعددية في الآراء والأوجه.

هذا عن الأصول العقدية، أما عن الفروع العقدية فهي تقبل التعددية في الآراء والاجتهادات كـــ "مباحث الأسماء والصفات وغيرها من المسائل الكلامية".

وجدير بالذكر أن المادة السيرية حينما تتعرض لرحلة الإسراء والمعراج كمثال واضح، ينبري من تحتها نقطة عقدية كرؤية النبي ربه، ورؤيته السماوات السبع وما فيهن، وحكايته عن أهل الجنة والنار وصفاتهم، وعن تصريحه بعذاب القبر ونعيمه... إلى آخر ذلك مما هو معلوم.

مما يؤكد بشكل يقيني أن المادة السيرية لا تنفك أبدًا عن الأصل الديني وهي المادة العقدية؛ الأمر الذي جعل مُصنِّفنا يُسطر الصناعة العقدية في كتابه وهذا قد تجده في الموضوعات الخاصة برحلة الإسراء والمعراج ومساءلة أهل القبور إلى آخر ذلك.

وهي المتمثلة في الأبواب الآتية: (جماع أبواب معجزاته ﷺ في تجلي ملكوت السموات والأرض واطلاعه على أحوال)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في إحياء الموتى وإبراء المرضى)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في إخباره بالفتن والملاحم الواقعة بعده)، و(جماع أبواب معجزاته ﷺ في بعض ما أخبر من علامات الساعة وأشراطها غير ما تقدم)، و(جماع أبواب سيرته ﷺ في الرقى والتمائم)، و(جماع أبواب بعثه وحشره وأحواله يوم القيامة ﷺ)، و(جماع أبواب التوسل به بعد موته ﷺ).

النقطة السادسة: الصنعة التراجمية في كتاب سبل الهدى والرشاد

لكل علم من العلوم الشرعية علوم تؤازره، وعلوم السيرة من العلوم الشرعية، ولها من العلوم المساعدة ما هو شديد الوثاقة والصلة، ومن هذه العلوم علم التراجم.

فقد يُستخدم هذا العلم في الأسماء والألفاظ والأماكن، أما الأسماء فقد يختص هذا العلم بترجمة صاحبها وهذا كثير في علوم السيرة بعمومها وعلم المغازي على جهة الخصوص.

حيث اهتم كثير من السيريين والمغازيين بترجمة الأعلام من الصحابة الذين قد شهدوا غزوات النبي أو الذين قد استعملهم النبي ﷺ على المدن أو حمل الرايات.

وتفاوت هذا الأمر بين المصنفين لعلم المغازي في مصنفاتهم حسب الإيجاز والاستطراد، فكل منهم قد يختار حسب رؤيته أو يتغافل عن هذا بالكلية، إلا من اشتهر بالصنعة فإنه يتوج كتابته المغازية بهذا الأمر.

وإمامنا قد أعمل تلك الصنعة في كتابته المغازية أو السيرية، حيث ذكر أسماء الصحابة الذين قد شهدوا الغزوات أو الذين قد استعملهم النبي ﷺ على المدن ورفع الرايات وهذا النوع تجده في الغزوات الكبرى بكثافة عالية.

أما النوع الآخر وهو المختص بتراجم الألفاظ فهذا معني بأصحاب اللسان العربي من اللغة وعلومها ومعاجمها، وهي المتمثلة في "جماع أبوابه " ذيل كل باب من أبوابه في التنبيهات التي سطّرها.

النقطة السابعة: الصنعة الجغرافية في كتاب سبل الهدى والرشاد

إن علم الجغرافيا علم واسع ومتشعب، وله وثيق الصلة بأم العلوم قاطبة ألا وهو علم التاريخ، وهذا الأخير قد استل من بين رحمه علوم السيرة النبوية، وبما أن

علم المغازي أحد علوم السيرة النبوية فإنه قد يكون من البديهي إيجاد علاقة بينه وبين علم الجغرافيا، وكما هو معلوم لدى الجغرافيين والخططين أن لهذا العلم صوراً منها الجغرافية البشرية والجغرافية المكانية، وهذا النوع الأخير هو المعني به علم المغازي والسير؛ حيث اهتم المصنفون في علم المغازي والسير بهذا النوع من الجغرافيا حتى يقفوا على حقيقة المكان الذي دارت فيه الموقعة، ومن هؤلاء المصنفين من غال في الاهتمام بالدرجة التي جعلته يُعاين الموقع بذاته ليرى بأم عينيه تلك المواقع –وهذا قليل جداً في تاريخ التصنيف– لكنه قد تميز بذلك ألا وهو الإمام الواقدي إمام الصنعة المغازية بلا منازع، وكتابه هو كعبة العلم في هذا الفن بلا أدنى ريب.

هذا، وقد وقفت على تمكُن الصالحي من هذا الفن وإعمال صنعته مما جعله لم يترك موقعًا من المواقع إلا وأعمل فيه أشياء، بل إن شئت فقل أركان، وهي على النحو التالي:

- أولها: ضبط اسم الموقع.
- وثانيها: ترجمته لاسم الموقع.
- وثالثها: تحديده للموقع؛ معتمداً في ذلك على كتب أهل الصنعة المتقدمين من الجغرافيين والخططين.

هذا، وقد ظهرت بشكل جلي في "جماع أبواب مغازيه" نظراً لطبيعة المادة المغازية وما فيها من مواقع قد ضبطها وترجم لها وذكر أماكنها بشكل دقيق في ذيل مغازيه.

النقطة الثامنة: الصنعة الأدبية في كتاب سبل الهدى والرشاد

إن من الأفنان التي اتسمت مادتها بالحس المعنوي الذي يخاطب الشعور والوجدانيات فن الأدب؛ ففن الأدب له أقسام وصور منها: (الشعر، والنثر، والقصة، والرواية، إلى آخر ذلك).

والذي يعنينا من تلك الصور هو "الشعر" الذي قيل في العهد النبوي، واهتم بعض المصنفون بنقل تلك الأشعار في مصنفاتهم، وكان من أوائل هؤلاء إمام الدنيا في علم المغازي والسير المطلبي محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة الكبرى والكتاب الأم في هذا الفن.

حيث اهتم ابن إسحاق بنقل ما ورد على ألسنة الصحابة من أشعار في غزوات النبي ﷺ وغيرها، وعلى إثر ذلك جاء إمامنا محمد بن يوسف الصالحي الشامي مُقلدًا لسيده والشيخ الأكبر للفن، فنقل تلك الأشعار الواردة على ألسنة الصحابة بل وتوسع فيها.

هذا، وقد وقفت على كثير من الإشارات في هذا الصدد؛ مما تبين لي أن هذا الإمام له صنعة في هذا الفن وقام بإعمالها في كتابته المغازية وهذه الإشارات تكمن في ما يلي:

أولاً: جمع الصالحي الأشعار الواردة على ألسنة الصحابة الكرام جمعًا مانعًا لم أر –في حد علمي– كتابًا قد أوفى واستوفى تلك الأشعار جميعها في مصنف واحد حتى

عند إمام هذا الفن –ابن إسحاق– حيث استشهد ابن إسحاق بكثير من الأشعار، أما الصالحي فقد جمعها جمعًا مانعًا لم يجمعه أحد قبله بل تجدها مفرقة بين الكتب.

ثانيًا: اعتمد الصالحي في سرده لتلك الأشعار على الكتب المنوطة والمتخصصة في هذا الفن من أصحاب صنعتهم، وقد ظهرت هذه الأمور جميعها في "جماع أبواب مغازيه".

النقطة التاسعة: الصنعة المعجمية في كتاب سبل الهدى والرشاد

إن الكتابة في هذه الصنعة تُعد جديدة على أنظار أهل البحث والدراية وقلّما تجد من يكتب في هذا الشأن، والذي استدعاني أن أكتب في هذا الشأن ما رأيته من صنيع هذا الإمام في هذا الصدد؛ فلقد أنشأ ذيل كل غزوة من غزواته مُعجمًا خاصًا بما يلي:

- ذكره لغريب الألفاظ الواردة في الغزوة وقد اهتم بهذا الأمر اهتمامًا بالغًا للغاية.
- ذكره للأسماء الواردة في الغزوة وإنشاء معجمًا لها.
- ذكره للأماكن الواردة في الغزوة وإنشاء معجمًا لها.
- ذكره لغريب القصة الواردة في الغزوة.
- ذكره للتنبيهات الخاصة بالمسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل الصنعة في أحداث الغزوة، وفضه للنـــزاع الوارد بين العلماء في تلك المسائل وترجيحه لإحدى الآراء.

هذا، وقد اعتمد في صناعته تلك على جل المعاجم والقواميس التي سُطرت عند المتقدمين والمتأخرين من العلماء الفحول في هذا الفن؛ كاعتماده على لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ومختار الصحاح للرازي، وتهذيب الأسماء للنووي، وكتب ابن السكيت لا سيما تهذيب اللغة إلى آخر هذه المعاجم في هذا الفن.

خاتمة البحث

في ختام هذه الرحلة البحثية المنهجية، التي استهدفت الكشف عن المعايير السِّـــيرية عند الإمام الصالحي الشامي في موسوعته العظيمة "سبل الهدى والرشاد"، يتضح جليًا أن هذا العمل ليس مجرد سردٍ لأحداث السيرة النبوية، بل هو نموذجٌ متكاملٌ للتأليف المنهجي الرصين في حقل الدراسات السِّيرية. لقد كشف هذا البحث عن عبقرية الإمام الصالحي الشامي في توظيف أدواته المعرفية الدقيقة لتقديم سيرة شاملة، مُحقِّقًا بذلك نقلة نوعية في منهجية البحث السِّيري.

لقد قامت دراستنا على خمسة معايير رئيسة، مَثلت الركائز الأساسية التي بني عليها هذا البحث، وهي: الأسس العلمية، منهج المقدمة ومنهجيتها، المناهج العلمية المتنوعة، والصنعات العلمية الدقيقة. وقد أثبتت النتائج أن هذه المعايير لم تكن مجرد آليات شكلية، بل هي منظومة متكاملة من القواعد والأدوات التي تعكس عمق الإمام الصالحي الشامي وشمولية ثقافته.

إن ما يميز منهج الإمام الصالحي هو قدرته الفائقة على المزج بين شمولية الاستيعاب ودقة الاستقصاء، مع توظيفٍ بارعٍ للمناهج العلمية المختلفة، من منهج التتبع إلى منهج التعقيب والترجيح، وقد تجلّت هذه البراعة في "الصنعات العلمية" التي أظهرت قدرة المؤلف على التعامل مع فنون معرفية متعددة، مثل الحديث والفقه واللغة، وتوظيفها جميعًا لخدمة البحث السِّيري.

إن هذه الدراسة، من خلال استقرائها العميق لمنهج الإمام الصالحي، تدعو إلى إعادة النظر في كيفية تدريس السيرة النبوية وكتابة الأبحاث فيها؛ فمنهجه ليس مجرد إرثٍ تاريخي؛ بل هو منارةٌ ومنهجٌ للباحثين المعاصرين، يستلهمون منه قواعد البحث العلمي الرصين، إننا نوصي بضرورة توجيه الجهود الأكاديمية نحو دراسة هذه المعايير وتطبيقها، لضمان استمرارية إنتاج أبحاثٍ سيريةٍ تتميز بالعمق والشمولية والدقة.

وأخيرًا، يبقى كتاب "سبل الهدى والرشاد" شاهدًا على عظمة التأليف الإسلامي، ويبقى مؤلفه الإمام الصالحي الشامي نموذجًا يحتذى به في البذل العلمي والإتقان المنهجي، ليظل عمله مرجعًا لا غنى عنه لكل من يروم فهم السيرة النبوية بمنهجية علمية فريدة.

١- نتائج البحث

خلُص هذا البحث إلى مجموعة من النتائج:

(١) طبق الصالحي الأسس العلمية المنضبطة للبحث العلمي في كتابه سبل الهدى والرشاد والتي انتظمت تحت ما يلي:

- استخدامه لعنوان عام دال على المحتوى.
- استخدامه لعنوان آخر تفصيلي.

(٢) قدم الصالحي مقدمة شاملة لسبب اختيار موضوعه، وأهميته، ثم أهدافه، ثم ذكر فيها ثبتًا بالمصادر التي اعتمد عليها ثم ذيلها بتقسيم دراسته التفصيلي الدقيق.

(٣) قسّم الصالحي كتابه إلى أجزاء ومجلدات متصلة في الموضوع العام ومنفصلة في الموضوع الخاص.

(٤) صرّح الصالحي في مقدمته بمعالم منهجه في البحث السيري، وقد استخلصتها في الآتي: (الاقتضاب، والتحري والوصف، والتحرز من الأحاديث المصنوعة، وبيان غريب الألفاظ وضبط مشكلها، وأخيرًا أحسن التتمة والختام).

(٥) انتهج الصالحي في كتابه مناهج عامة وخاصة؛ أما المناهج العامة فلقد انتظمت تحت ما يلي:

- اتساع مفهوم السيرة.
- شمولية علوم السيرة.
- الربط بين علوم الشرع.
- تسخير العلوم كافة للسيرة وعلومها.
- الاستعانة بالعلوم المساعدة.

أما المناهج الخاصة فلقد انتظمت تحت ما يلي ذكره:

- منهج الاستيعاب.
- منهج التعددية.
- منهج الموضوعية.
- منهج التعقيب والترجيح.
- منهج الاستقصاء.
- منهج التأصيل.
- منهج التتبع.

(٦) قدّم الصالحي في كتابه مجموعة من الصناعات العلمية، انتظمت تحت ما يلي:

- الصنعة السيرية. - الصنعة الحديثية.
- الصنعة اللغوية. - الصنعة الفقهية.
- الصنعة العقدية. - الصنعة التراجمية.
- الصنعة الجغرافية. - الصنعة الأدبية. - الصنعة المعجمية.

هذا، والحمد لله على إنعامه وتفضله أن منَّ علي بتتمة هذا البحث العلمي الدقيق على هذا النحو، والله أسأل أن يتجاوز عما وقع من خطأ أو زلل، والله هو المستعان.

٢- توصيات علمية ومنهجية:

بناءً على النتائج التي توصل إليها البحث حول المعايير السيرية والمنهجية الرصينة للإمام الصالحي الشامي في موسوعته "سُبُل الهُدى والرّشاد"، أوصي بما يلي:

(١) توصيات للمؤسسات التعليمية والأكاديمية:

أ- **ضرورة دمج منهج الصالحي في المقررات:** يجب على أقسام الدراسات الإسلامية، وخاصةً أقسام السيرة النبوية والمناهج وطرق التدريس؛ إفراد دراسات متعمقة أو فصول محددة ضمن مقرراتها لتحليل وتدريس المنهج الفريد للإمام الصالحي كنموذج رائد للبحث السيري الشامل والمتكامل.

ب- **تشجيع دراسات المقارنة المنهجية:** توجيه رسائل الماجستير والدكتوراه لإجراء مقارنات منهجية بين معايير الصالحي وأعمال كبار المصنفين السِّيريين الآخرين (سابقيه ولاحقيه)؛ لتحديد نقاط التفرد والإضافة النوعية التي قدمها.

ت- **عقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة:** تنظيم فعاليات علمية تُركّز على "الصناعات العلمية" المتنوعة التي مارسها الإمام الصالحي (الحديثية، الفقهية، اللغوية، العقدية، إلخ)، وبيان كيف يمكن أن تُشكل نموذجًا متكاملًا للباحث المعاصر.

(٢) توصيات للباحثين والمتخصصين في السيرة النبوية:

أ- **الاستفادة من البنية المعيارية:** يجب على الباحثين المعاصرين، عند إعداد موسوعات أو دراسات شمولية، الاحتذاء بالبنية المعيارية التي أسسها الصالحي؛ من حيث دقة العناوين، وشمولية المقدمة (بمنهجها ومنهجيتها)، وتوظيف المناهج المتعددة (الاستيعاب، الاستقصاء، التتبع، التعقيب).

ب- **تطبيق مفهوم "تعدد المناهج":** يوصى بتجاوز الالتزام بالمنهج الواحد، والعمل على تطبيق مناهج بحثية متنوعة (كالتي تم استخلاصها في المعيار الرابع) في البحث الواحد، بما يتناسب مع طبيعة المادة العلمية وغناها، على غرار ما فعله الصالحي.

ت- **إثراء الصناعات العلمية:** على الباحثين السِّيريين تطوير مهاراتهم في الصناعات المعرفية المساعدة (مثل الفقه، والحديث، واللغة)، وعدم

الاقتصار على سرد الروايات السيرية، بل تعميق التحليل والترجيح من منظور متكامل يجمع بينها.

(٣) توصيات للتحقيق والنشر العلمي:

أ- **الاهتمام بتحقيق موسوعة "سُبل الهدى والرشاد"**: دعوة مراكز التحقيق ودور النشر المتخصصة إلى إعادة النظر في طبع وتحقيق الموسوعة على ضوء المعايير المنهجية المكتشفة، وربما إعداد فهارس علمية تحليلية متخصصة تُبرز جوانب الصناعات والمناهج الدقيقة داخله.

ب- **إنشاء دليل إرشادي**: العمل على صياغة دليل إرشادي أو ميثاق علمي للبحث السِّيري المعاصر مستنبط من "المعايير الخمسة الكلية" التي تناولها البحث، ليكون مرجعاً موحداً لضبط جودة الأبحاث السيرية المنهجية.

صنعة الدكتور/ معتز أحمد رفاعي زارع
أستاذ علوم السيرة النبوية
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

Biographical Standards of Imam al-Salihi al-Shami: A Methodological Approach

Prepared by
Dr. Moataz Ahmed Rifai Zare'
Professor of Biographical Studies
Associate Professor, Department of Islamic Studies, Islamic University
Email
dmoataaze@gmail.com
dmoataaz@yahoo.com

Arabic Abstract:
The study of biographical research and an analysis of its precise standards by Imam al-Salihi al-Shami (d. ٩٤٢ AH) is considered one of the most important methodological studies in the field of contemporary biographical studies. This is due to his prominent scholarly standing, as he is considered the author of the largest encyclopedia compiled on the Prophet's biography and its sciences throughout history, from the beginning of documentation to the present day. This is the great encyclopedia entitled: (The Paths of Guidance and Right Direction in the Biography of the Best of Creation, and the Mention of His Virtues, Signs of His Prophethood, His Actions, and His Conditions in the Beginning and the End).
The biographical research is derived and its controlling criteria established through induction, analysis, and in-depth deduction of multiple aspects, including its solid scientific foundations, its detailed introduction, its comprehensive methodology, and its diverse scientific approaches. These findings ultimately lead to the precise scientific craftsmanship inherent in his writing of biographical research, which is clearly evident in his work: (Subul al-Huda wa al-Rishad fi Sirat Khair al-Ibad).

First Criterion: The Scientific Foundations of Biographical Research by Imam al-Salihi

I began this research by discussing the essential research foundations underlying the book Subul al-Huda wa al-Rishad in a concise and focused manner. This approach aims to identify the main features of these foundations and their rich content, as well as highlight their profound impact in achieving the desired perfection of biographical research in its final form. In truth, I say that Imam al-Salihi's pen is imbued with solid scientific foundations for scholarly research, along with its diverse methods and approaches. He has applied all of this with extraordinary skill in his precious work. One of the central objectives of this meticulous research is to examine these unique methodological features and highlight those foundations that have a profound impact in establishing the foundations of solid scholarly research and following the path of these eminent scholars in authorship and investigation. This is what prompted me to explicitly recommend to specialists in teaching methods and scholarly research methods that they direct their pens toward the unique

method and approach outlined by Imam al-Salihi al-Shami in presenting these well-crafted scholarly foundations. I have listed these foundations under various points, as follows:
A. The Title: This represents the first gateway to any scholarly work and accurately reflects its content.
B. The Introduction: This reflects the methodology and clarifies the aims and objectives.
C. Resources: These constitute the cognitive sources from which the researcher draws his material. D- Sections: Express the overall structure of the work and its structural divisions.
E- Topics: Represent the partial details contained in the research work.
F- Division: Reflects the internal organization of the scientific material.
L- Chapter Translations: Provide a summary of the content of the chapters and sections.

The Second and Third Criteria: The Introduction's Methodology and Approach to Biographical Research by Imam al-Salihi al-Shami

In the context of discussing "method" and "methodology" in introductions to biographical research, it is noted that many researchers and specialists do not clearly distinguish between the two concepts. In fact, the distinction between them is clear and necessary, especially in the case of an imam who has elaborated on each separately, such as al-Salihi, who completed his introduction with a clear completion that is consistent with the greatness of his comprehensive encyclopedia.
As for the method, it refers to those theoretical features, foundations, and methods that the imam explicitly stated in his comprehensive introduction, as well as those that he did not explicitly state, which we have deduced from his own work. These represent the general and essential framework of his work.
As for the methodology, it concerns precise practical applications, specifically references to his sources and terminology, in order to facilitate the reader's understanding of his clear meanings and objectives, thus revealing the mechanisms by which he dealt with the scientific material.

Criterion Four: Scientific Methods in Writing Biographical Research on Imam al-Salihi al-Shami

It is well known to those deeply versed in the methods and writings of the imams that the scientific methods inherent in books vary greatly, depending on the authors and their wealth of knowledge. Some authors adhere to a single, consistent method that they apply throughout their writing, while others employ more than one method, and some employ multiple and diverse methods. The diversity of these methods is consistent with the comprehensive cognitive formation of the author of the work. The richer and more diverse the author's knowledge, the more this adds depth and comprehensiveness to the presentation of his scientific material. It is a truism of scientific logic that such

approaches are remarkably numerous and diverse in major encyclopedias. Unfortunately, however, we rarely find this methodological richness in the encyclopedias of later authors. This same matter prompts us to view the Encyclopedia of Paths of Guidance and Right Direction with reverence, respect, and profound appreciation for it and its author. This is due to the multitude of approaches inherent within it, as well as its exquisite and refined diversity. This reality is what prompted me to write about it in depth, and I have divided these approaches into general and specific approaches.

As for the general approaches, I have included them under the following points:

(١) The broad concept of the biography: This is evident in its comprehensiveness of multiple dimensions of the Prophet's life.

(٢) The use of auxiliary sciences: This reflects its integration with other branches of knowledge to support the biographical presentation.

(٣) The connection between the sciences of Islamic law: This highlights the harmony of the biography with jurisprudence, hadith, exegesis, and other Islamic sciences.

(٤) Harnessing Sciences: Clarifies how to employ various knowledge sources to serve biographical research.

(٥) Comprehensiveness of Biographical Sciences: Emphasizes the broad scope of the Biography to encompass diverse life and religious aspects.

As for the specific approaches, I have listed them under the following points:

(١) The Comprehensive Approach: Aims to gather everything related to the topic without omission.

(٢) The Investigative Approach: Includes in-depth and comprehensive research in various sources.

(٣) The Pluralistic Approach: Reflects reliance on various sources and diverse approaches.

(٤) The Authentication Approach: Focuses on linking branches to their legal and scientific foundations.

(٥) The Objectivity Approach: Requires impartiality and neutrality in presenting and analyzing facts.

(٦) The Tracking Approach: Requires tracking narratives and events across various sources.

(٧) The Commentary and Preference Approach: This is evident in critiquing narratives and favoring the strongest of them.

The Fifth Criterion: Scientific Crafts in Biographical Research According to Imam Al-Salihi

Scientific crafts are those unique research skills and in-depth experiences that give the author and the author solidity and scholarly prestige. These skills are not necessarily present in every work, nor with every author, nor are they always present in major encyclopedias. Some large encyclopedias may lack a single skill, while in contrast, we find that a single volume is packed with

sophisticated and precise scientific crafts. The book "Subul al-Huda wa al-Rishad fi Sirat Khair al-Ibad" (The Paths of Guidance and Righteousness in the Biography of the Best of Servants) is the largest encyclopedia that encompasses within its covers the sciences of the Prophet's biography in all its branches. It comprehensively lists the narratives related to the noble Prophet Muhammad, enabling its author to skillfully address most of the cognitive arts, including hadith, jurisprudence, Quranic sciences, biography, creed, and other related Islamic sciences. This comprehensive approach resulted in an integrated set of scholarly crafts, clearly manifested and disseminated throughout his writing of this great book. This very matter is what prompted me to seriously address this topic and search for the entrances to these noble scholarly crafts. This would serve as a gateway and a guiding beacon for researchers in all disciplines, and a fertile ground for directing their pens, each according to his precise specialization. I have classified these crafts under the following titles: (biographical crafts, hadith crafts, linguistic crafts, calligraphic crafts, biographical crafts, jurisprudential crafts, creedal crafts, literary crafts, and lexicographical crafts).

Summary of the Overall Criteria

This research is organized around five main and pivotal criteria, which represent the fundamental pillars for understanding Imam al-Salihi al-Shami's approach to biographical composition. These criteria are:

(١) The first criterion: The scientific foundations of biographical research according to Imam al-Salihi.

(٢) The second criterion: The introduction to biographical research according to Imam al-Salihi.

(٣) The third criterion: The methodology of the introduction to biographical research according to Imam al-Salihi.

(٤) The fourth criterion: The scientific methods used in writing biographical research according to Imam al-Salihi.

(٥) The fifth criterion: The scientific techniques used in biographical research according to Imam al-Salihi.

Keywords:

(Biographical standards), (The Book of Paths of Guidance and Right Direction), (Approaches of Compilers in the Prophet's Biography).

ISSN PORTAL : 3006-1822 - مجلة البحوث والدراسات العربية

Biographical Standards of Imam al–Salihi al–Shami
"A Methodological Approach"

Dr. Moataz Ahmed Rifai Zare'
Professor of Prophetic Biography
Associate Professor, Department of Islamic Studies,
Islamic University
Email
dmoataaze@gmail.com
dmoataaz@yahoo.com